

حضارة وادي الرافدين

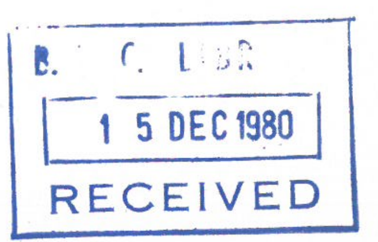
بين الساميين والسومريين

الدكتور أحمد سوسه

الجمهورية العراقية
منشورات وزارة الثقافة والاعلام
دار الرشيد للنشر
١٩٨٠

سلسلة دراسات
(٢١٤)

المهندس الدكتور
أحمد سوسه

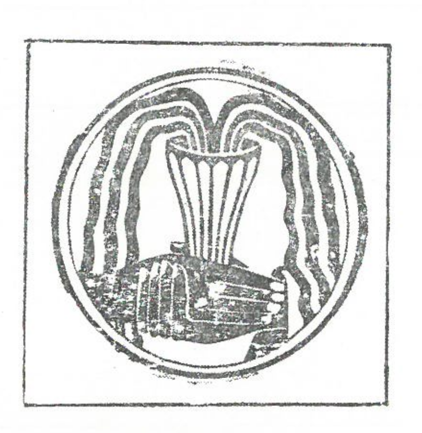


حضارة وادي الرافدين

بين الساميين والسومريين

« لقد حان الوقت لكي نقدر دون أي تحيز ، اسهام العرب في تأريخ الجنس البشري ، وهذه العملية تمكننا من أن ننظر نظرة أكثر صحة الى التطور التأريخي للجنس البشري ككل متكامل ومستمر ٠ »

«السير جون كلوب»



صورة الغلاف

الشعار السامي لوادي الرافدين ، دجلة والفرات ، وهـو يتألف من كأس سماها الباحثون «الكأس الفوارة» ينبع منها مجريان رئيسان يتكون كل منهما من ثلاثة فروع يعتقد انهـا تمثـل الروافد الرئيسة التي تنصب في كل من نهري دجلة والفرات . والشعار سامي الاصل من ابتداع الساميين الذين نزحوا من جزيرة العرب الى وادي الرافدين ، وذلك لارتباط حياتهم المعاشية بنهري دجلة والفـرات وروافدهما ، وهم اول من عرف الروافد التي تنصب بدجلة والفرات لاستقرارهم على ضفتيهما ، فاستوحوا تصميم شعارهم من البيئة التي كانوا يعيشونها . وكان طبيعيا أن يقدر الساميون الذين دفعتهم الصحراء الى ضفاف نهـري دجلة والفرات أهمية المـاء في حياتهـم اكثر من مجاوريهم السومريين في منطقة الاهوار الذين احاطت بهم المياه من كل صوب . ونلاحـظ ان الساميين والسـومريين كـانوا يتصورون ان دجلة والفرات ينبعان من منبع واحد وقد صوروه كذلك .

القسم الاول

تقديم

ان البحث في تاريخ حضارة وادي الرافدين القديم وتطور حضارته عبر العصور لا يمكن فصله عن تاريخ الشرق الأدنى القديم الذي يضم سورية بما فيها لبنان وفلسطين والأردن ، كما يضم جزيرة العرب والخليج العربي ، فمنذ أقدم الأزمنة كانت تؤلف هذه المنطقة وحدة جغرافية ذات أصل مشترك ، ولا تزال حتى الآن مرتبطة بمصالح مشتركة وتاريخ واحد تجمع بين سكانها الخصائص العربية تحت مخيم واحد . لذلك ان البحث في حضارة وادي الرافدين يجب ان يدون على مراحل في ضوء الاحداث التاريخية لكل من هذه الأقطار مع مراعاة تسلسلها الزمني في تطورها . وانا اذ أقدم هذا البحث المقتضب « لحضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين » انما اقوم بذلك انطلاقا من وحي توجيهات السيد رئيس الجمهورية صدام حسين حين يقول :

" لقد آن الاوان لأن نقوم بغربلة كتابات المستشرقين فبعضهم وضع تقييما على اشراقات تراثنا التاريخي العظيم بعيدا عن الموضوعية ومتطلبات البحث العلمي ٠٠٠ هل تساعدنا المكتشفات الاثارية الجديدة على اعادة بعض الآراء وتقويمها تقويما يناسب تاريخنا الحقيقي ؟ "

لقد توصلت الى تقسيم حضارة وادي الرافدين الى أربع مراحل هي كما يلي :

المرحلة الاولى :

وهي تتناول حضارة العرب القديمة في جزيرة العرب عندما كانت الجزيرة تتمتع بمناخ تتوافر فيه كل مستلزمات الحياة ، بخلاف ما نشاهده اليوم من انتشار الصحارى والرمال فيها من كل صوب • فكانت اوديتها الجافة حاليا انهرا تغذي عصب الحياة المزدهرة • وقد عاشت شبه الجزيرة العربية اكثر من مائة الف سنة على هذه الحال في العصر الجليدي الرابع حتى حل دور الجفاف قبل حوالي ١٥ ألف سنة ، فهاجر اهل الجزيرة يتحرون عن بلد ذي نهر يأوون اليه فأقرب موئل لهم كان نهر الفرات فلجأوا اليه ، رحلوا وحملوا معهم خبرة مائة الفسنة في الزراعة والفلاحة،رحلوا ومعهمحضارة نهرية اكتسبوها من محيطهم فهم اول من اخترع الزراعة الفنية التي تعتمد على الري ومارسوها فعلا في وطنهم قبل رحيلهم ، والغريزة البشرية والحاجة للقوت هي التي دلتهم على اكتشاف الزراعة الاصطناعية بتوفر الماء والارض وهما العنصران الاساسيان اللذان

يرافقان دوام حياة الانسان • فالى اهل جزيرة العرب اذن نحن والعالم كله مدين للعرب بهذا الاختراع العظيم الذي كان الاساس الذي اعتمدت عليه كل الحضارات القديمة • لقد أسس النازحون بعد هجرتهم من جزيرة العرب اثر الجفاف الذي حل بها اول واقدم استيطان زراعي على نهر الفرات في سورية يرجع الى ما قبل تسعة الآف سنة قبل الميلاد مما يدل على ان الهجرة بدأت منذ ذلك التاريخ •

وهناك شبه اجماع عند العلماء على ان المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب ومن ضمنها اليمن هي الوطن الأصلي للشعوب السامية العربية التي نزحت من جزيرة العرب اثر الجفاف الذي حل بها ، وذلك لما كانت عليه منطقة جنوب الجزيرة من كثافة في السكان وتقدم في مدارج الحضارة •

ومن هنا تبدأ المرحلة الثانية من تاريخ وادي الرافدين •

المرحلة الثانية :

تتناول هذه المرحلة حضارة الساميين العرب في شمال وادي الرافدين بعد دخول اهل الجزيرة المهاجرين الى سورية ، فكان لخبرتهم في الزراعة التي تعتمد على الري اثر في تأسيس مستوطناتهم الزراعية في سورية على نهر الفرات حيث كونوا هناك حضارة شمال وادي الرافدين او الحضارة السامية الغربية ، وهذه تتميز عن الحضارة السامية الشرقية أي الاكدية الجنوبية **بلهجتها واسماء**

العلم لديها • وكان الساميون الغربيون اكثر اندفاعا واشد رغبة في الاستيطان والتوسع لأنهم كانوا يحصلون على المدد البشري المتزايد من الصحراء كما هي الحال بالنسبة الى جميع القبائل البدوية ، وهم اقرب الى الكنعانيين والاوغارتيين والادوميين والأموريين والفينيقيين • وقد ازدهرت في هذه المرحلة مستوطنات سامية اخرى منها (منطقة حلف) التي اشتهرت بدورها الحضاري القديم المسمى « دور حلف » ومنطقة ماري الآمورية واوغاريت ومريبط ومملكة أبيلا القديمة في منطقة حلب المكتشفة حديثا وغيرها •

المرحلة الثالثة :

وهي تلك التي تتناول حضارة الساميين العرب في جنوب وادي الرافدين (العراق) • وقد حدد علماء الآثار انتقال الحضارة الاستيطانية في وادي الرافدين من الشمال الى الجنوب في حدود العصر الحجري المعدني الوسيط والأخير (٥٠٠٠–٣٥٠٠ ق•م•)، فيقول الدكتور مورتكات في كتابه « تاريخ الشرق الادنى القديم » (ص ٢٢) ما نصه : « ويبدو حتى الان (يقصد حتى بداية العصر الحجري المعدني) ان مركز القيادة للشرق الادنى في التطور الحضاري للمجتمع الزراعي كان يتجسم في الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين وعلى الاخص في منطقة (تل حلف) المحصورة بين طوروس وزاغروس ، الا ان الحالة تبدلت في خلال حقبة العصر الحجري المعدني الوسيط والاخير ، اذ يبدو وكأن الجنوب قد بدأ ولأول مرة يحاذي الشمال في كل خطوة يخطوها » ويؤكد

الدكتور مورتكات ايضا اهمية تحول مركز ثقل الحضارة من اقصى الجنوب على الخليج العربي الى المنطقة التي تعلوه قليلا الى الشمال • اما الدور الذي لعبه عصر مسيلم ملك كيش السامي في هذا التحول ، فيقول عنه : « اثبتت لنا الدلائل الوثائقية وما نستطيع ان نستقيه من الملاحظات ان مركز ثقل الحضارة تحول من اقصى الجنوب على الخليج العربي الى المنطقة التي تعلوه قليلا الى الشمال ، هي منطقة العاصمة بغداد الحالية ، اي تحوله من مدن اوروك واريدو واور الى مدينة كيش عاصمة الملك مسيلم ، التي تعتبر الام القديمة لمدينة بابل الشهيرة ، عاصمة الحقبة الكلاسيكية والتي انطلقت منها منذ الحين موجة عمّ بها العنصر السامي المنطقة ، ويعود الفضل في كل ما نعرفه بشكل ملموس عن هذا العصر في النواحي المادية والفكرية كليا الى المكتشفات الآثارية » • (المصدر السابق ص ٤٤) •

هذا ما يؤيد ان الساميين الغربيين في سورية كانوا قد تمركزوا في منطقة تل حلف وما جاورها من مناطق تعود لدور حلف الحضاري ، ثم انتقلوا الى الجنوب حيث استقروا في السهل الرسوبي من جنوب العراق وهو ما يؤيد تواجد الساميين في جنوب العراق منذ الألف الخامسة قبل الميلاد كما يؤيد ايضا انتقال الحضارة الجنوبية في العراق وفي الخليج العربي الى مركز الساميين في كيش •

يتضح مما تقدم ان الساميين العرب اصبحوا منتشرين في هذا العصر في شمال وادي الرافدين وفي جنوبه بما فيه الخليج العربي ،

فحضارتهم وثقافتهم واحدة في المناطق الثلاث ، هي الحضارة السامية العربية،لأن الاتصال بينهم كان ميسورا لعدم وجود حاجز طبيعي يفصل بينهم • وقد اثبتت اعمال التنقيب الارتباط الحضاري بين شمال وادي الرافدين وبين جنوبه بما فيه الخليج العربي •

والمهم في هذه الحضارة انها تواجدت في شمال وادي الرافدين وفي جنوبه بما فيه الخليج العربي ، فحضارة اهل هذه المنطقة وثقافتهم واحدة وقد وجدت آثارهم الفنية في كل هذه المناطق وهي من نوع واحد مشترك بينها وتعود الى عصر واحد هو عصر ما قبل التاريخ ، اي قبل اكتشاف الكتابة والتدوين لذلك لا نعرف باية لغة كانوا يتكلمون الا ان ما نعرفه بوجه التأكيد انهم من العنصر السامي الذي كان يتكلم بلغته السامية القديمة • وهذه الحقبة الحضارية بقسميها الشمالي والجنوبي كانت تكوّن حضارة وادي الرافدين الاساسية قبل ان نسمع بالسومريين او نتعرف على ما سمي فيما بعد بالشعب السومري او الحضارة السومرية بالفي سنة على اقل تقدير ، فهذه حضارة سامية عربية منبعها البشري والحضاري جزيرة العرب • وحقبتها الحضارية تؤلف وحدة ثقافية متعاصرة متماسكة وثيقة الصلة بحضارة الساميين الغربيين في سورية وحضارة الساميين الشرقيين في جنوب العراق وحضارة الساميين العرب في جزيرة العرب والخليج العربي وكل المنطقة التي كانت تربط جنوب وادي الرافدين بالقسم الشمالي السوري •

واقدم الحضارات الرئيسة التي شهدها العراق في جنوب الرافدين في المرحلة الثالثة هذه تتألف من اربعة فصول حضارية

فرعية يتشابه قسم منها مع بعضها كما يختلف القسم الاخر عن بعضه اختلافا كليا اطلق عليها بعض العلماء (عصور فجر التأريخ) أي مايتوافق مع اخر عصور ماقبل التاريخ • وتمتد هذه الحقبة الحضارية ما بين ٦٠٠٠ و٣٠٠٠ ق • م • وهذه تعد من ضمن العصر الحجري المعدني الذي حدد مابين سنة ٥٦٠٠ و ٣٥٠٠ ق • م • بصورة تقريبية • اما الفصول الحضارية فيمكن توزيعها كما يأتي :

١ ــ حضارة العبيد واريدو من ٥٠٠٠ الى ٣٨٠٠ ق • م •

٢ ــ حضارة الوركاء من ٣٨٠٠ الى ٣٢٠٠ ق • م •

٣ ــ حضارة جمدة نصر من ٣٢٠٠ الى ٣٠٠٠ ق • م •

٤ ــ حضارة عصر مسيلم السامي من ٣٠٠٠ الى نهاية عصور ماقبل التأريخ •

وكانت هناك حضارة حسونة في شمال العراق وحضارة سامراء في وسط العراق وحضارة اشنونا (خفاجي وتل اسمر) في المنطقة السامية بجوار بغداد •

ان المرحلة الثالثة من حضارة وادي الرافدين تعتبر اهم مرحلة في تاريخ العراق القديم فحضارة العبيد واريدو التي تعتبر اقدم حضارة عراقية تمثل اقدم استيطان في العراق قد ثبت تواجدها في كل انحاء العراق (شماله ووسطه وجنوبه) ، كما ثبت تواجدها ايضا في شمال وادي الرافدين (سورية / السامية) وفي الخليج

العربي (السامي العربي) وفي منطقة شرقي جزيرة العرب (السامية العربية) ، مما يدل على ان الحضارة العبيدية العراقية كانت محاطة من كل اطرافها بحضارة سامية معاصرة لها • وعلى هذا الاساس لايمكن ان تكون حضارة العبيد العراقية الا من العنصر السامي ذاته • وهذا يدل ايضا على انه كانت هناك وحدة حضارية سامية بين وادي الرافدين وبين البلاد العربية ككل ـ وحدة مترابطة توضح الاسس المشتركة بين سكنة الخليج العربي وجزيرة العرب القدامى من جهة وبين سكان بلاد الرافدين من الجهة الاخرى •

وكذلك كانت حضارة الوركاء (٣٨٠٠ـ٣٥٠٠ ق • م •) محاطة بحضارة عبيدية سامية معاصرة من جهة حضارة العبيد وحضارة الخليج العربي جنوبا ، ومن جهة سورية شمالا ، ومن جهة جزيرة العرب شرقا ، فضلا عن انه ثبت تواجد آثار الوركاء ذاتها في شمال وادي الرافدين (سورية السامية)، أي ان حضارة الوركاء التي ازدهرت في العراق فيما قبل التاريخ لم تكن مقتصرة على جنوب بلاد الرافدين فقط بل امتدت لتشمل مناطق واسعة في شمال الرافدين (سورية السامية)،فقد كشفت الحفريات الاخيرة في منطقة غمر سد الفرات عددا من نماذج معاصرة ومشابهة لمعبد الوركاء ونقوشه الفسيفسائية في تل قناص وجبل عرودة على الضفة الغربية من نهر الفرات في سورية (محمد وحيد خياطة مدير آثار حلب ، مجلة بين النهرين ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٩) • وقد كشفت التنقيبات الحديثة ايضا سورا لمدينة في موقع حبوبة

الجنوبية بسورية يعود الى عصر الوركاء بالذات ، وهو السور المشهور الذي نسب بناؤه الى جلجامش ملك الوركاء من خلال ملحمته الذائعة الصيت (المرجع السابق ، ص١٣٣) • وقد ارجع الدكتور مورتكات عصر مسيلم السامي وسور الوركاء المذكور الى عهد ملحمة جلجامش (تاريخ الشرق الادنى القديم ص ٥٤) •

اما حضارة عصر جمدة نصر فيكفي اثبات ساميتها بوقوعها ضمن حدود المنطقة السامية من جنوب العراق ، فضلا عن ان حضارة عصر جمدة نصر كانت محاطة من كل اطرافها بحضارات سامية مثل حضارة الوركاء فيما قبل التاريخ •

واما حضارة مسيلم فهي سامية واسم مسيلم كما هو واضح اسم سامي • ومع ان مسيلم حكم في كيش في القرن السابع والعشرين قبل الميلاد في الفترة التي ترجع الى اواخر سلالة كيش الاولى والتي تتفق مع زمن اوائل سلالة اور الاولى من عصر فجر السلالات ، غير انه قد اصطلح على اعتبار عصر مسيلم دورا انتقاليا من السومريين الى الساميين مرتبطا بعصري جمدة نصر واخر عصر الوركاء وامتدادا لهما ، وقد سماه الدكتور مورتكات عصر فجر التاريخ وليس بدء التاريخ •

يتضح مما تقدم ان هذه الحقبة الحضارية التي تمثل حضارة العراق الاساسية وانتشرت في كل انحاء الشرق الادنى وامتدت حوالي ثلاثة الاف سنة فيما قبل التاريخ تواجدت في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي ، كما تواجدت في العراق ، لايمكن

أن تكون لها هوية غير هويتها السامية التي ثبت وجودها قبل السومريين
وقبل عصر فجر السلالات • (انظر ايضا : مكتشفات الحملة
الدولية لانقاذ آثار الفرات في منطقة غمر السد في سورية ،
١٩٧٤) •

وقد دارت ولاتزال تدور حول هذه الحقبة الحضارية آراء
مختلفة ونقاشات متضاربة بحيث اصبحت تؤلف مشكلة عويصة
اشبه بعملية رياضية يصعب حلها ، وهي لا تزال من القضايا
المستعصية التي لم تستطع حلها الدراسات اللغوية والاثرية • وكان
سبب حدوث هذه المشكلة ان اكثر الباحثين الاجانب كانوا
ولايزالون ينفردون في البحث عن تاريخنا القديم وهم الذين ابتدعوا
نظرية تاريخية لاتستند الى واقع تاريخي فضلا عن انها تجانب المنطق
والعقل السليم ، وهذه النظرية تجعل الحضارات التي ازدهرت في
جنوب العراق ماقبل التاريخ تعود كلها الى السومريين في حين انهم
يعلمون حق العلم بان هذه الحضارات لايمكن ان تكون الا سامية
الاصل وهي حضارة العراق الاساسية التي ترجع الى عصور ماقبل
التاريخ وقد اسسها الساميون عندما اسسوا مستوطناتهم الزراعية
في جنوب العراق اما السومريون فقد ظهروا في ما بعد التاريخ أي
انهم ظهروا في عصر فجر السلالات مابعد زمن الحضارات المذكورة
بعشرات القرون ، ورغم ذلك اعتبروا هذه الحقبة الحضارية
سومرية قبل ظهور السومريين على مسرح الاحداث وتقبل الناس
ذلك دون تمحيص • والآن قد يتساءل القاريء : لماذا ابتدع
الباحثون هذه النظرية ؟ وهل كان وراء ذلك امر يقصدونه ؟

فالجواب نعم ، ان القصد الاساسي هو محاولة اعطاء الاهمية
الكبرى في المبادهة الحضارية الى شعب غير سامي ،
غريب عن منطقة وادي الرافدين ، وفي مقدمتهم السومريين
الغرباء الذين لايمتون بصلة لغوية الى الساميين الذين اوجدوا اقدم
حضارة في وادي الرافدين • فهكذا اهمل الباحثون الذين انفردوا
في تدوين تاريخنا القديم حسب اهوائهم الدور الفعال للعنصر
السامي العربي في صياغة وتطوير الحضارة الانسانية في هذه
المنطقة من العالم ، وقد وصلت محاولاتهم درجة من التشكيك في
الوحدة الحضارية للساميين العرب ، فطرقوا مواضيع عديدة ،
وألفوا كتبا كثيرة مثل الفن السومري والاختام السومرية والتاريخ يبدأ
في سومر[١] وغيرها من المؤلفات التي لا تحصى في مثل هذه
المواضيع التي تشيد بعظمة السومريين محاولين بذلك طمس الوجود
السامي العربي في المنطقة ، واعتبار الحضارة السومرية ام الحضارات
مما ادى الى نشوء تيارات فكرية تخدم مصلحة الغربيين الذين
وقفوا دوما موقف العداء للحضارة السامية ، فضلا عن ذلك ان
الباحثين تغافلوا وجود هذه الحقبة الحضارية السامية التي ترجع
الى عصور ماقبل التاريخ والتي انتشرت في منطقة الشرق الادنى
ومن ضمنه جنوب العراق في وقت واحد من الزمن وفي مستوى فني
واحد وأهملوا البحث في هويتها واكتفوا باعتبارها جزءا من
الحضارة السومرية التي ظهرت مابعد اكثر من ألفي سنة من زمن
هذه الحقبة الحضارية التي هي اساس الحضارة العراقية في جنوب

(١) "History begins at Sumer"

وادي الرافدين فاطلقوا عليها احيانا اسم (مخلفات العصور الاولى) من غير تحديد لهويتها ، واحيانا اخرى قالوا (ان اصحابها مجهولون) لابعاد ذكر الساميين ودورهم في تقدم حضارة وادي الرافدين .

وأوضح دليل على ان الغرب كان يخطط كل الوسائل لابعاد السامية العربية عن دورها في تأسيس حضارة وادي الرافدين ان الخبير الآثاري المعروف « سيتون لويد » الذي كان يعمل خبيرا في دائرة الآثار العراقية عدة سنوات كتب مقالا عن اريدو نشر في مجلة سومر سنة ١٩٤٧ يستغرب فيه كيف يجرأ كرامر الخبير الآثاري في موضوع (السومريات) أن يصرح في كتابه « الاساطير السومرية » الصادر مؤخرا (سنة ١٩٤٤) ان معظم اراضي السهل الرسوبي من بلاد مابين النهرين كان بلاشك يسكنها الساميون عندما نزح السومريون الى العراق من غير ان يخشى العاقبة ، فيقول مانصه : «كرامرلم يخش انيصرح في كتابه «الاساطير السومرية» « بان معظم اراضي مابين النهرين دجلة والفرات كان بلا شك يسكنها الساميون » .

(In "Sumerian Mythology" published as recently as 1944, Kramer **is not afraid** to assert at the time of the Sumerian invasion much of the land between the Tigris and the Euphrates was no doubt inhabited by the Semites).

(سومر م٣ ، العدد ٢ (١٩٤٧) القسم الانكليزي ص ٩١) .

ومن حقنا ان نسأل سيتون لويد : ممن كان يتوقع كرامر ان يخشى ؟.. هل هناك من يفرض على كرامر عقوبة أو تأنيباً اذا

ماصرح (بان معظم اراضي مابين النهرين كان يسكنها الساميون عندما نزح السومريون الى العراق) ؟ .. فهل هناك تآمر على تاريخنا الحقيقي ؟ .. والظاهر ان كرامر واجه فعلا عقوبة او تأنيبا على تصريحه هذا بدليل ان كلامه هذا اختفى في الطبعات التي تلت سنة ١٩٤٤ فلم اجد له اثراً في طبعة ١٩٦١ ، ان كرامر لم يكتف بحذف تصريحه من الطبعات الجديدة لكتابه بل أصدر كتابا للتأكيد على انه عدل عن رأيه الاول سماه «التاريخ يبدأ في سومر» وكان ذلك سنة ١٩٥٩ اما عنوان كتابه هذا بالانكليزية فهو :

(History begins at Sumer)

وهذا يعني على حد قول كرامر ان السومريين يمثلون اقدم الحضارات في تاريخ وادي الرافدين بل في التاريخ كله . فهل هذا ينسجم مع الواقع التاريخي وتسلسل عصوره ؟ فماذا يقول كرامر في حضارة حلف في سورية وحضارتي العبيد واريدو في جنوبي العراق وهي حضارات سامية ترجع الى عصور ما قبل التاريخ منبعها البشري جزيرة العرب ؟ أو ليس لها تاريخ في وادي الرافدين ؟ فماذا يقول كرامر في اثارها الفنية ، فهل هي لاتمثل حضارة وتاريخ وهل هي مجهولة الهوية كما ادعى الباحثون بالنسبة الى حضارتي العبيد واريدو ؟ نحن نعتبر ان تاريخ وادي الرافدين يبدأ منذ ظهور اقدم استيطان حضاري على نهر الفرات في سورية في الالف التاسعة قبل الميلاد ، اما تاريخ العراق الحقيقي فيبدأ منذ بداية

حضارتي العبيد واريدو اللتين تمثلان اقدم استيطان حضـــاري في جنوبي العراق وهو يرجع الى سنة ٥٠٠٠ ق٠م ٠ ويتفق مع زمن هجرة الساميين من سورية الى العراق ٠

وعلى الرغم مما تقدم لم يغفل العلماء المحايدون ذكر هذه الحقبة الحضارية المهمة التي تمثل اقدم حضارة شهدها العراق في فترة مـا قبل التاريخ ومن هؤلاء الدكتور كارلتون كون صاحـب كتاب « قصة الانسان » (ص ٣١٧) الذي يؤكد بـأن « ارض سومر كان يسكنها شعب ذو لغة سامية في اغلب الظن » ٠ وهذا القـول يستدل منه ان ليس هناك من يستطيع ان يعين نوع اللغة التي كانت سائدة آنذاك،لان الكتابة قد ظهرت فيما بعد،ولكن ثبوت وجود الساميين في المنطقة في ذلك الوقت يقوم دليلا ساطعا على ان اصحاب هذه الحقبة الحضارية كانوا يتكلمون لغة او لهجة سامية قديمة ٠

ومن المهم ذكره هنا انه قد ثبت بالادلة الملموسة بان هناك شعبا سكن منطقة سومر قبل ان يظهر السومريون الى الوجود بمئات او آلاف السنين وان المدن السومرية كلها التي ازدهرت بعـد هذا العصر بالفي سنة على اقل تقدير اي في عهد فجر السلالات مثل لجش والوركاء ونفر وأور وغيرها وحتى أريدو التي تعـد أقدم مدينة في منطقة سومر كلها كانت تقوم فوق بقايا قرى سكنية من حضارة دور العبيد وهذا مما يدل دلالة واضحة على ان شعبا ساميا ذا حضارة اقدم من العصر السومري سكن هذه المنطقة ٠ ولما كانت (حضـــارة دور العبيد العراقي محاطة باقطار سامية مثل سورية وجزيرة العرب والخليج العربي وقد وجدت فيهـــا

الاثار العبيدية نفسها من حيث النوع ومن حيث الزمن فلابد ان يكون دور العبيد العراقي ساميا أيضا ، وفي تلك الحال تكـون طبقات حضارة العبيد التي وجدت تحت المدن السومرية مثل اور واريدو والوركاء ونفر وغيرها طبقات سامية ايضا ولا يصح ان تعتبر هذه المدن سومرية الأصل بل سامية الاصل ٠

ومما يؤكد ان الساميين تواجدوا في المنطقة منذ أقدم العصور ان أول ملك حكم في أريدو التي تعد اقدم مدينة في المنطقة كمـا تشير اثبات الملوك السومريين كان يحمل اسما ساميا هو (ايلولم)٠

ومن الذين أيدوا نظرية دكتور كون الاستاذ طه باقر حيث يرى بان السومريين لم يكونـوا أقـدم المستوطـنين في السهل الرسوبي من جنوب العراق بل جاوروا أقواما أخرى وفي مقدمتهم الساميون ، ويبدو من كلامه انه يعترف ضمنا بان الساميين سبقوا السومريين في الاستيطان في جنوبي العراق ولكنه أعتبر أن هناك أقواما أخرى جاوروا السومريين ٠ وهذا ما يحملنا ان نسأل : ومن يكون غير الساميين في المنطقة في عصر العبيد فالمعلوم عنـدنا ان غزوات الشعوب غير السامية مثل الحيثيين والميتانيين والكوتيين كانت متأخرة أو حدثت بعد تواجد الساميين في المنطقة٠اذن لماذا لا نعتبر الحضارة السومرية مقتبسة من الحضارة السامية بدليل ان الساميين سبقوا السومريـين في الاستيطان على نهر الفـرات في سورية منذ تسعة الآف سنة قبل الميـلاد وعاصـروا العبيديـين العراقيين في الخليج العربي وفي جزيرة العرب ؟ الم تكن حضارة

العبيد العراقية محاطة من كل أطرافها بحضارة سامية ؟ اذن لماذا
لا نعتبر حضارة العبيد حضارة سامية ؟

من كل هذا نجد انفسنا مندفعين استنادا الى مابين ايدينا
من وثائق لاعتبار حضارات حسونة وسامراء والعبيد والوركاء
وجمدة نصر وعصر مسيلم السامي الذي يشمل حضارة «اشنونا»
كلها ترجع الى أصل سامي عربي ، قامت في عصور ما قبل التاريخ
في خلال المرحلة الثالثة من مراحل حضارة وادي الرافدين ، وهي
تؤلف حضارة العراق الاساسية وازدهرت في العراق قبل دخول
السومريين الى المنطقة بالفي سنة على اقل تقدير ، اذ ثبت تواجد الساميين
العرب في شمال وادي الفرات في سورية منذ تسعة الاف سنة وفي فلسطين
(الحضارة النطوفية) منذ سبعة الاف سنة قبل الميلاد (المريبط
وأبو هريرة في سورية وأريحة في فلسطين) كما ثبت تواجد حضارة
العبيد في جزيرة العرب وفي الخليج العربي . وهذا ما يدل على
ان الهجرات من جزيرة العرب قد بدأت منذ تسعة الاف سنة قبل
الميلاد وهو ما يمثل اقدم استيطان على نهر الفرات في سورية يعقبه
الأستيطان في العراق في حدود السنة ٦٠٠٠ ــ ٥٠٠٠ قبل الميلاد .
واما السومريون فقد أسسوا حضارتهم الرئيسة في العصر السومري
الحديث ، اي بعد ان عاشوا قرنين من الزمن تحت الحكم الأكدي
السامي الذي سجل أول وأعظم امبراطورية سامية عربية بزعامة
(سرجون الاكدي) مما عرفه التاريخ وان اهم النصوص الادبية
جاءتنا من العصر السومري الحديث المذكور في أعقاب حكم
الساميين وليس من العصر السومري القديم الذي تواجد في

سومر قبل حكم الاكديين لذلك ان الاثار الوركائية المهمة مثل
الكأس النذري ورأس الأمرأة الرخامي يجب ان تصنف من جديد
في المتحف العراقي واعتبارها اثارا سامية عربية وليس سومرية ،
هذا مع العلم ان الخبير الاثاري «ورد» لما صنف الاختام التي تعود
الى عصر وركاء ما قبل التاريخ في كتابه ("The Seal Cylinders of
Western Asia") لم يطلق عليها تسمية سومرية ولكنه ذكر انها
تعود الى العصور القديمة ولكن الاصح ان تسمى (اثار وركاء
ما قبل التاريخ (Archaic Period) لتمييزها عن اثار وركاء
ما بعد التاريخ ، واغرب ما نلاحظه ان كل يوم نرى المعارض تقام
تمجيدا للسومريين الذين لا يمثلون حضارة العراق الاساسية
مجارين بذلك الغربيين الذين ارادوا ان يعتبروا حضارتنا سومرية
غير سامية فقبلنا ذلك من دون تمحيص ولا تروٍ .

اجمالا نقول مما اوضحناه فيما تقدم يصح ان نطلق على
حضارة المرحلة الثالثة من مراحل تطور حضارة وادي الرافدين
اسم حضارة وادي الرافدين السامية العربية وهي منتشرة في كل
الشرق الادنى بما فيه سورية والعراق وجزيرة العرب والخليج
العربي . تلك الحضارة التي حاول الغربيون طمس معالمها واسدال
الستار على احداثها الجوهرية بالمعلومات الخاطئة او التجاهل
او تغلب التفكير العنصري ونحن اذ ندرج فيما يلي تلخيصا للدلائل
والقرائن التي تثبت ان هذه الحضارة سامية انما نستند في ذلك

على آخر المكتشفات الاثارية والمصادر الوثائقية التي بين ايدينا وهذه هي الدلائل :

اولا : أن اهم المدن في السهل الرسوبي في جنوب العراق التي اعتبرت سومرية ترجع الى أصل سامي بدليل أنها كانت تقوم فوق قرى سكنية تعود الى طبقات حضارة العبيد التي ثبت انها كانت محاطة من كل الأطراف بحضارة عبيدية بأقطار مجاورة سامية بنفس المستوى الفني ونفس الزمن ، وهي سورية وجزيرة العرب والخليج العربي التي هي من أصل سامي عربي . وقد دلت الدراسات الانتروبولوجية للهياكل العظيمة التي وجدت في مقبرة اريدو والتي تنتمي الى حضارة العبيد ان سكان العبيد واريدو هم من اجناس حوض البحر المتوسط الذين منهم الساميون العرب الذين نزحوا من جزيرة العرب اثر الجفاف الذي حل بها .

ثانيا : ان السومريين لم يكونوا قد ظهروا الى عالم الوجود في عصور العبيد والوركاء وجمدة نصر في ما قبل التاريخ ، لأنهم اسسوا حضارتهم (العصر السومري القديم والحديث) بعد عصر العبيد بالفي سنة على اقل تقدير في حين ان هذه العصور اعتبرت سومرية خطأ .

ثالثا : اعتبرت حضارة الوركاء في ما قبل التاريخ سومرية في حين ان السومريين ظهروا على مسرح الاحداث بعد عصر هذه الحضارة بالف وخمسمائة سنة على اقل تقدير . لذلك ينبغي

اعتبار حضارة الوركاء في هذا العصر سامية مثل حضارة العبيد وقد وجدت اثار حضارة الوركاء في سورية السامية وهي تعود لنفس زمن الوركاء . لذلك كانت وركاء ما قبل التاريخ غير وركاء ما بعد التاريخ ، يدل على ذلك ان الاولى تعد سامية وليس سومرية .

رابعا : ان اقدم مدينة في المنطقة وهي اريدو التي اعتبرت سومرية في حين انها سامية ايضا بدليل ما جاء في اثبات الملوك السومريين من ان اول واقدم ملك حكم في المنطقة قبل الطوفان ملك اريدو «ايلولم» وهو يحمل اسما ساميا . وهذا ما ينطبق على كل المدن التي اعتبرت سومرية الاصل وهي كانت قائمة فوق طبقات حضارة العبيد السامية .

خامسا : ان حضارة (جمدة نصر) تعتبر سامية ايضا بدليل انها كانت تقع في المنطقة السامية واثارها تعتبر سامية ايضا .

سادسا : نستخلص من كل ذلك ان حضارات العراق القديمة كلها في عصور ما قبل التاريخ ترجع الى اصل سامي تلك الحضارة التي وجدت قبل ظهور السومريين على مسرح الاحداث بعشرات القرون .

واخيرا وليس اخرا ، يبدو ان العقدة (عقدة السومرية) التي خلقها الغربيون لاعطاء المبادهة الحضارية الى شعب غريب غير سامي (أي آرى) كان يقصد بها طمس حقيقة وجود الساميين في

المنطقة وهذه المشكلة التاريخية لا يمكن ان تحل الا بعقد مؤتمر يحضره كل علماء الاثار في البلاد العربية والعلماء الاجانب ممن ثبتت امانتهم العلمية وبعدهم عن التحيز المقصود لاتخاذ القرارات اللازمة في هذا الشأن .

المرحلة الرابعة :

تتناول هذه المرحلة حضارة الساميين الشرقيين والسومريين وهي المرحلة التي ظهر فيها السومريون على مسرح الاحداث لاول مرة ، فتبدأ بعصر فجر السلالات الذي قسمه العلماء الى ثلاثة عصور هي :

١ ــ عصر فجر السلالات الاول = ٣٠٠٠ ــ ٢٨٠٠ ق . م .

٢ ــ عصر فجر السلالات الثاني = ٢٨٠٠ ــ ٢٦٠٠ ق . م .

٣ ــ عصر فجر السلالات الثالث = ٢٦٠٠ ــ ٢٣٧٠ ق . م .

ففي هذه المرحلة دخل لاول مرة عنصر غريب عن المنطقة في لغته غير السامية هو العنصر السومري نسبة الى منطقة سومر التي تواجد فيها . في هذه المرحلة عاش السومريون مع الساميين الذين كانوا في المنطقة قبل السومريين وسبقوهم في تأسيس حضارتهم السامية في عهود ما قبل التاريخ ، عاش الطرفان جنبا الى جنب بسلام تسود بينهما روح المودة والتآلف متعاونين معا في جميع المجالات الفكرية والاجتماعية والسياسية لصنع حضارة مشتركة على ارض سومر واكد حتى اطلق عليها البعض اسم الحضارة السامية ــ السومرية في جنوب العراق ، كل ذلك خلافا لما كان

ينسبه الباحثون لهم من صراع واصطدام مستمرين بينهما ، بل اخذ كل منهما الشيء الكثير من الآخر واسهم كلاهما في صنع هذه الحضارة المزدوجة المتحدة . ولم يكن للسومريين والساميين حدود طبيعية ومما يدل على ان بلاد سومر واكد كانت تؤلف في هذه المرحلة وحدة جغرافية لا تتجزأ فأول معرفتنا بالساميين والسومريين وصلتنا مقرونة بلقب ملك سومر واكد . وتؤكد اثبات الملوك السومريين هذه الوحدة ، حيث نجد ملوكا سومريين قد حكموا في مدن سامية وملوكا ساميين حكموا في مدن سومرية قبل الطوفان وبعد الطوفان واستقرت جماعات من الساميين في مدن سومرية كما استقرت جماعات من السومريين في مدن سامية . لذلك يصح ان نطلق على هذه المرحلة من حضارة وادي الرافدين اسم حضارة وادي الرافدين (السامية ــ السومرية) .

السومريون ــ اصلهم ، وطنهم :

اما السومريون فقد اتفق الباحثون اجماعا بانهم جنس غير سام وان لغتهم غريبة عن المنطقة لا تشبه اللغات السامية ، ولا نعلم زمن مجيئهم الى جنوب وادي الرافدين وانذهب البعض الى ان ذلك ربما كان في الالف الرابعة أو الثالثة قبل الميلاد . وقد اختلفت الآراء في تعيين موطنهم الاصلي ، فهناك من ذهب الى انهم هاجروا من منطقة تقع في ما بين شمال الهند وبين افغانستان وبلوخستان وجاءوا عن طريق الخليج العربي وجزيرة البحرين بعد ان استقروا في غربي ايران فترة من الزمن ، وذهب آخرون الى

اعتبارهم بدوا مما وراء القوقاز او بحر قزوين • ويرى آخرون انهم جاءوا من آسيا الصغرى بينما نجد رأيا ثالثا يقول انهم جاءوا من السند واخيرا اتجه فريق رابع الى انهم من الاقوام التي قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ ، وان حضارتهم أصيلة في العراق، بل ويمكن تسمية أصحاب حضارة العبيد بالسومريين على الرغم من عدم معرفتنا لغة حضارة أهل العبيد •

نستخلص من هذه الآراء المتعددة : ان الباحثين لم يستقروا على رأي عن أصل السومريين من أين جاءوا ، من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب ، ولكن المسألة التي تحتاج الى تصحيح هي انهم تعلموا الزراعة في أرض العراق ، سواء أكانت هذه الخبرة نشأت تلقائيا نتيجة ظروف البيئة وطبيعة النهر والأرض ، أم انهم تعلموها من الساميين الذين كانوا يعيشون في الأرض المتاخمة لهم من أعلى كما يرى فرانكفورت (كتابه «مولد الحضارة في الشرق الأدنى» ، ١٩٥١ ، دراسات في العالم العربي ، ص ٧٨) • والثابت ان المدن التي عرفناها في هذه الارض كانت سامية وسومرية ، وكانت بعض المدن السامية أقدم من المدن السومرية ، وكانت السيادة في الاغلب الاعم للمدن السامية • (ديلابورت ، « بلاد ما بين النهرين » ؛ تاريخ العالم ، المجلد الأول ؛ قوائم ملوك واسر العراق القديم • أنظر أيضا : « الفن الاسلامي » تأليف أبو صالح الالفي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤ ، ص ٣٤) •

العصر السومري :

يبدأ تاريخ السومريين ببداية العصور التاريخية التي تتوافق مع عصور فجر السلالات ، أما ما قبل ذلك فلا نملك أية معلومات أو أي دليل أو اشارة يمكن الاستدلال بها على ان السومريين تواجدوا في جنوب العراق في عصر ما قبل التاريخ ، لذلك ان كل ما نعرفه عن السومريين يرجع الى عصر فجر السلالات • فقد تميز عصر فجر السلالات هذا بالنسبة الى احداث السومريين بظهور السومريين في الميدان الحضاري ، ففي هذا العصر تعرفنا لأول مرة على أولى الكتابات السومرية باللغة السومرية وبالخط المسماري ، وذلك بعد ظهور وسائل الكتابة والتدوين عن طريق دور سلالة لجش الأولى في تكوين حضارة سامية ـ سومرية •

لذلك ان تاريخ العراق القديم لابد من تقسيمه الى قسمين: القسم الأول يعود الى عصور ما قبل التاريخ (أي قبل ظهور السومريين على مسرح الاحداث) والمتمثل بحضارات العبيد واريدو والوركاء وجمدة نصر واخيرا حضارة عصر مسيلم السامي بما فيها حضارات اشنونا وسامرا وحسونة • والثاني يرجع الى العصور التاريخية المتمثلة بحضارة عصور فجر السلالات وهي مرتبطة بالحضارة السامية ـ السومرية المزدوجة التي ازدهرت ، هذه العصور •

يقسم العصر السومري في المرحلة الرابعة من حضارة وادي الرافدين الى حقبتين منفصلتين ، الاولى تعرف بالعصر السومري القديم ، والثانية تعرف بالعصر السومري الحديث وتفصل بينهما

حقبة الامبراطورية الاكدية السامية التي دامت حوالي قرنين من الزمن (٢٣٧٠ ـ ٢١٥٩ ق ٠ م) وتقع الحقبة الاولى في عصر فجر السلالات الثالث وتكون حضارة دويلات المدن السومرية التي ازدهرت في هذا العصر مثل لجش واور ونفر والوركاء وأدب وغيرها وهذه قامت فوق بقايا قرى من دور حضارة العبيد الذي يرجع الى عصور ما قبل التاريخ ٠ وهذا ما يدل دلالة واضحةعلى ان شعبا ذا حضارة أقدم من العصر السومري القديم سكن هذه المنطقة قبل السومريين واستقى السومريون مقومات حضارتهم منه فمن يكون هذا الشعب غير الشعب السامي الذي ثبت وجوده في عصور ما قبل التاريخ ؟ أما الحقبة الثانية فقد ازدهرت في أعقاب انهيار الامبراطورية الاكدية السامية ، وذلك في الفترة التي تمتد بين سنة ٢٢٨٠ وسنة ٢٠٠٣ ق٠م ٠

ومن الواضح ان هاتين الحقبتين عاشتا في كنف الحضارة السامية التي ازدهرت في المرحلة الثالثة من حضارة وادي الرافدين والتي دامت في شمال وجنوب وادي الرافدين حوالي ثلاثة آلاف عام من عصور ما قبل التاريخ ٠ وتبرز هنا ظاهرة لازمت تاريخ العراق في كل مراحل حضارته وهي ان العنصر السامي كانت له جذور عميقة في المنطقة ، فشبح السامية لم يفارق المجتمع السومري منذ ان وطأت اقدام السومريين أرض العراق ، فكانت أكد وسومر تؤلفان وحدة يسودها تعاون مشترك لتحقيق هدف واحد هو السعي وراء التقدم والتطور لوضع دعائم الحضارة السامية ـ السومرية ، ولكن شاءت الاقدار ان ينعدم وجود

السومريين من صفحات التاريخ ويخلد اسم الساميين الذين كونوا اعظم الامبراطوريات مما عرفه العالم القديم ٠

ومهما كان الامر ، ان السومريين على الرغم من ان لغتهم غير سامية فهم يعتبرون عراقيين بعد ان تثقفوا بالثقافة السامية العراقية وعاصروا الساميين وشاركوهم في حياتهم الزراعية ٠

رأي الاستاذ طه باقر في اصل السومريين :

ويؤيد الاستاذ طه باقر الرأي « بان السومريين هم احدى الجماعات المنحدرة من بعض الأقوام المحلية في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ البعيدة ، وانهم عرفوا باسمهم الخاص ، أي السومريين نسبة الى اسم الاقليم الذي استوطنوا فيه أخيرا في القسم الجنوبي من العراق ، أي ان التسمية لاحقة للاستيطان ومشتقة من اسم موضع جغرافي ولا تحمل مدلولا قوميا ، يؤيد هذا ان كثيرا من الاقوام التاريخية التي اشتهرت فيوادي الرافدين واسهمت في تكوين حضارته واحداث تاريخه سميت باسم المواضع التي حلت فيها مثل الاكديين نسبة الى مدينة « أكد » او«أكادة» العاصمة التي اسسها سرجون الاكدي ، والبابليين نسبة الى مدينة بابل والآشوريين نسبة الى مدينة آشور على ما يرجح كما يمكن تتبع اصول الحضارة السومرية الى جذورها الأولى في عصور ما قبل التاريخ » ٠

وفي كلامه على الساميين وصلتهم بالسومريين يؤكد كما نوه به مرارا « ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في السهل

الرسوبي من جنوبي العراق بل جاوروا اقواما اخرى وفي مقدمتهم الساميون • وبخلاف ما ذهب اليه البعض من نسبة الاصل الجبلي الخارجي الى المهد الذي نزح منه السومريون ، لا نجد من المآثر السومرية وعلى رأس ذلك آدابهم واساطيرهم وشعائرهم الدينية ، ما يشير الى اصل غريب من بيئة وادي الرافدين الطبيعية، ولا سيما القسم الرسوبي منه ، بل ان طابع حضارتهم المميز مشتق من بيئة نهرية ذات احراش وقصب ونخيل واثل وطمى وغرين وفيضانات وسهول الى غير ما هنالك مما سبق ان نوهنا به من أثر البيئة الطبيعية في حضارة وادي الرافدين » • وينتهي الاستاذ طه باقر الى القول عن مسألة السومريين في تاريخنا القديم:

« ويبدو مما عرفناه من آراء عن أصل السومريين ومهدهم ان ذلك من القضايا التي لم تستطع حلها الدراسات اللغوية والآثارية وان كل ما قيل ويقال بشأنها مجرد تخمين وافتراضات لا يمكن البرهنة عليها ولا رفضها بوجه قاطع »[2] •

لقد نقلت الى القارىء رأي الاستاذ طه باقر بالنص لما له من وزن ومكانة علمية في نظرنا ، والذي نستنتجه من كلامه انه يذهب الى تأييد رأيين اساسيين :

اولا ـ ان السومريين لم يكونوا اقدم المستوطنين في وادي الرافدين بل جاوروا اقواما أخرى وفي مقدمتهم الساميون وان السومريين لا يحملون دلالة قومية •

(٢) طه باقر « مقدمة •• » مصدر سابق ، ص ٦٤ •

ثانيا ـ ان وطن السومريين هو وادي الرافدين •

رأينا في أصل السومريين وتعليق على رأي الاستاذ طه باقر :

نحن نتفق مع الاستاذ طه باقر بالنسبة للرأي الاول ، أي ان السومريين لم يكونوا اقدم المستوطنين في وادي الرافدين بمعنى ان هناك شعبا ذا حضارة سبقهم في الاستيطان وفي مقدمتهم الساميون • كما اننا نتفق واياه بأن السومريين لا يحملون دلالة قومية بمعنى انهم لا يمثلون شعبا ذا عنصر معين ولكنهم يمثلون ثقافة على اصح تعبير • أما الرأي الثاني فلا نتفق معه بما ذهب اليه بسبب كون لغة السومريين لغة اجنبية غريبة عن المنطقة ، فلابد ان يكون السومريون قد جاءوا بهذه اللغة من مكان غير وادي الرافدين ذي اللغة السامية ، والذي نرجحه ان هذا المكان هو منطقة عيلام البطائحية المجاورة الى منطقة الاهوار في جنوبي العراق والمشابهة لها في بيئتها الطبيعية يؤيدنا في ذلك الخبير الآثاري هندكوك (انظر كتابه « آثار وادي الرافدين » ص ١) انظر :

S.P. Handcock, "Mesopotamian Archaeology", 1912, p. 1.

يؤيد ذلك فرانكفورت ويقول : « ولا يزال سكان المستنقعات في ايران الشرقية حتى اليوم يعيشون على شواطيء البحيرة الكبيرة لنهر كارون • وهم مثل عرب مستنقعات جنوب العراق ، يبنون مراكب واكواخا من قصب ، ويصطادون السمك ويحتفظون بالجواميس والماشية • ولابد ان مثل هذه الاحوال

كانت سائدة في كثير من أنحاء فارس في هذه الفترة • والمهاجرون من مثل هذه المناطق يكونون دوما على استعداد تام لمواجهة الحياة في منطقة كمنطقة دلتا الفرات ودجلة » • ويضيف الى ذلك قوله :

« ان الخزف الذي صنعه السكان القدماء في جنوب ما بين النهرين يبين انهم جاؤا من فارس • وقد احتفظوا في البداية بالرسوم الهندسية الشديدة التشابك التي كانوا يستعملونها في بلادهم الأصلية • » (فجر الحضارة في الشرق الادنى • » ، ترجمة ميخائيل خوري ، ١٩٦٥ ، ص ٦٢) •

نحن نعلم ان اهل عيلام لم يكونوا من الساميين والارجح ان السومريين جاءوا بلغتهم من مكان آخر غير عيلام ، ثم استقروا في أهوار عيلام ومنها انتقلوا الى أهوار العراق الواسعة المجاورة التي لا توجد حدود تفصل بينها بدليل ان اصل السومريين اقرب الى حياة الاهوار من حياة الريف فهم أهل الجاموس • يقول الاستاذ طه باقر « ان السومريين هم احد الاقوام الذين عاشوا في جهة ما من وادي الرافدين في عصورما قبل التاريخ ثم استقروا في السهل الرسوبي منه في حدود الالف الخامسة قبل الميلاد او بعد ذلك الزمن »[٣] • هذا ما يقوله الاستاذ طه باقر وهو نفس الكلام الذي يردده الباحثون الغربيون لارجاع عصر السومريين الى عصور ما قبل التاريخ أي الى عصر العبيد لكي يجعلوا

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٢ـ٦٣ •

السومريين اقدم المستوطنين في جنوب العراق ، هذا في حين ان كل الدلائل التي يدونها الاستاذ طه باقر نفسه تؤكد ان السومريين وكتاباتهم كلها ترجع الى عصور فجر السلالات اي في ما بعد التاريخ وليس فيما قبل التاريخ • ألم يكن هو الذي قال في ص ٢٣١ من كتابه « مقدمة ••• » « ان الحضارة السومرية ازدهرت في مطلع الالف الثالثة ق•م• وهذا يضعف رأي من ذهب من الباحثين الى جعل بداية حضارة وادي الرافدين في الاطوار الاخيرة من دور الوركاء » •

فكيف التوفيق بين هذا وذاك ؟ ثم أين كان السومريون في الالف الخامسة قبل الميلاد ؟

يبدو ان الاستاذ طه باقر لم يستقر على رأي ثابت فيما يتعلق باصل السومريين ، فكل ما دونه في كتاباته عن تاريخ العراق القديم يؤكد بان السومريين ظهروا في عصور فجر السلالات (أي في العصور التاريخية) ، وهذا هو الواقع فعلا ، إذ اننا لا نملك أي دليل أو أية اشارة الى ان السومريين تواجدوا في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ • ثم يعود الاستاذ باقر ويقول ان السومريين تواجدوا في وادي الرافدين في الألف الخامسة قبل الميلاد ، أي في عصور ما قبل التاريخ ، بقصد ارجاع تاريخ السومريين الى عهود لم يكن لهم وجود فيها ، كما ذهب اليه بعض الباحثين

الغربيين الحاقدين على الساميين وعلى العرب . ولم يكتف الاستاذ طه باقر بالقول ان السومريين تواجدوا في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ خلافا لما ابداه في رأيه الأول ، بل يؤكد بانه « يمكن تتبع أصول الحضارة السومرية الى جذورها الأولى في عصور ما قبل التاريخ » . فهل كانت هناك حضارة سومرية قبل ان يكون السومريون قد ظهروا الى عالم الوجود في وادي الرافدين ؟ فباي الرأيين يأخذ الاستاذ طه باقر بهذا أم بذاك . ان املنا بعد هذا ان يوضح لنا رأيه الصريح في هذا الموضوع المعقد .

هذا ما يحملنا على ان نسأل أيضا : من هي الاقوام التي استقرت في وادي الرافدين من غير الساميين ؟ فقد سبق ان ذكرنا ان المعلوم لدينا ان غزوات الشعوب غير السامية مثل الحيثيين والميتانيين والكوتيين كانت متأخرة إذ وقعت بعد تواجد الساميين في المنطقة . اذن لماذا نعتبر الحضارة السومرية مقتبسة من الحضارة السامية التي سبقتها في الاستيطان في وادي الرافدين ؟ ألم تكن حضارة العبيد التي ظهرت في الالف الخامسة قبل الميلاد في جنوب العراق محاطة من كل اطرافها بحضارة سامية في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي ؟ ألم تكن هذه حضارات سامية ترجع الى زمن حضارة العبيد العراقية ؟ والغريب ان الاستاذ طه باقر يردد ما ابتدعه الباحثون الغربيون من ان اهل حضارة

العبيد (مجهولون)[٤] . فهل هم مجهولون حقا ؟ ثم يقلد المستشرقين الاجانب فيؤيد كون السومريين دخلوا العراق في سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد لارجاع تواجد السومريين في عصور ما قبل التاريخ . اين الدليل على انهم تواجدوا في العراق سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد ؟

أما قول الاستاذ طه باقر ان مسألة السومريين مشكلة مستعصية في تاريخنا القديم لم تستطع الدراسات اللغوية والآثارية حلها وانها العقدة الاساسية في تاريخ وادي الرافدين القديم فيجب علينا ان لا نتوقع من الغرب ان يحل هذه العقدة او المشكلة ، لان الغرب هو الذي ابتدع هذه العقدة وهو الذي غذاها بجميع كتاباته عن تاريخنا القديم بقصد ابعاد دور الساميين في تأسيس وتطور حضارة وادي الرافدين وذلك بغية جعل المبادهة الحضارية في وادي الرافدين الى عنصر غريب عن السامية من خارج المنطقة وهو العنصر السومري الغريب في لغته . لذلك لا يمكن ان يتم حل هذه العقدة الا على أيدي العرب انفسهم (ما حك جلدك الا ظفرك) . فاذا كان العذر في كتابة تاريخ وادي الرافدين من غير العرب مقبولا فيما مضى على اعتبار ان الامم الغربية قد سبقتنا في ميادين العلم الحديث فلا يوجد لهذا العذر أي مبرر بعد ان أصبحت الامة العربية زاخرة بعلمائها ومؤرخيها اذ اصبح لدينا الآن عدد غير قليل من الخبراء العرب المتخصصين

(٤) المصدر السابق ، ص ٨٠ .

في الآثار وفي التاريخ القديم بحيث يستطيعون حل هذه العقدة من غير تدخل الاجنبي المغرض • وعلى هذا أرى أن يتم حل هـذه العقدة بعقد مؤتمر تدعى اليه كل الجهات المتخصصة في الآثـار والتاريخ القديم من البلاد العربية ولا بأس في دعوة علماء آثار اجانب ممن أثبتت دراساتهم التزامها بالامانة العلمية وعدم تحيزها الى جهة دون أخرى ، هذا على ان يطلب من كل جهة مدعوة الى المؤتمر اعداد بحث يتناول النقاط الرئيسة التالية ومن ثم يجري النقاش حولها وتتخذ قرارات محددة فيها للاخذ بها من قبل الباحثين ، وهذه النقاط هي :

اولا ـ تحديد زمن تواجد السومريين في جنوب العراق ولو على وجه التقريب مع الادلة •

ثانيا ـ تحديد زمن تواجد الساميين في سورية وفي فلسطين ولو بصورة تقريبية أيضا •

ثالثا ـ تحديد زمن هجرات العرب من الجزيرة العربيـة اثر الجفاف الذي حل بها بعد العصر الجليدي الرابع •

رابعا ـ تحديد صلة مخلفات حضارة العبيد والوركاء وجمدة نصر التي تعود الى عصور ما قبل التاريخ بعصر السومريين ، فهل تعتبر مخلفات من العصر السومري أي سومرية أم سامية لا سيما بعد ان ثبت تواجـد مخلفات هذه الحضارات نفسها في اقطار سامية مجاورة مثل سورية وجزيرة العرب والخليج العربي مما يدل

على ان هذه المخلفات تعود الى العصر السامي وليس السومري كما صنفها المتحف العراقي وبخاصة بعد ان اثبت الانتربولوجيون بعد فحص الهياكل العظمية لاهل العبيد واريدو بانهم من أجناس حوض البحر المتوسط الذين منهم الساميون العرب •

نحن نعتبر ، استنادا الى المصادر المتوفرة ، ان حضـارات حسونة وسامراء وخفاجي وتل اسمر والعبيد والوركاء وجمدة نصر ومسيلم كلها ترجع الى الاصل السامي العربي وقد قامت في عصور ما قبل التاريخ في خلال المرحلة الثالثة من مراحل حضارة وادي الرافدين وهي تؤلف حضارة العراق الاساسية التي ازدهرت قبل دخول السومريين الى العراق باكثر من الفي سنة اذ ثبت تواجد الساميين العرب في وادي الفرات في سورية منـذ تسعة آلاف سنة ق•م • وفي فلسطين منذ سبعة آلاف سنة ق•م • (الحضارة النطوفية) ، كما ثبت تواجد حضارة العبيد في جزيرة العرب، وفي الخليج العربي • وهذا ما يدل على ان حضارة العبيد حضارة سامية وان الهجرات من جزيرة العرب قد بدأت منـذ تسعة آلاف سنة قبل الميلاد وهذا ما يمثل أقدم استيطان في سورية•

لقد تعرفنا بعد ظهور الكتابة على اولى الكتابات السومرية باللغة السومرية التي تعود الى العصر السومري القديم ويرجع زمنها الى عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠ ـ ٢٣٧٠ ق •م) وقد عثر عليها في مدينة لجش وقسم قليل منها وجد في مدينة نفر واور وادب • وكانت هذه الكتابات تحتوي على كثير من النصوص

الاقتصادية والكتابات الملكية • اما النصوص الادبية فلم يكن
لها وجود ثم تلتها كتابات العصر السومري الحديث (٢٢٨٠ ـ
٢٠٠٣ ق • م) ، وكان ذلك في اعقاب حكم الاكديين الساميين
(٢٣٧٠ ـ ٢١٥٩ ق •م) فحكمت اولا سلالة لجش الثانيـــة
(٢٢٨٠ - ٢١٠٩ ق•م) • وبعدها حكمت سلالة أور الثالثـــة
(٢١١١ - ٢٠٠٣ ق•م) • ومن هذه الفترة جاءنا اعداد هائلة من
النصوص السومرية وبينها اعـــداد لا تحصى من النصوص
الاقتصادية من مدينة لجش واوما (جوخة حاليا) ودريهم (دكان
ديما) واور • كما ان كتابات (جوديا) حاكم سلالة لجش الثانية
(٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق•م) والذي حكم فترة قصـــيرة تسبق زمن
اور الثالثة تعتبر اول انواع الانتاج الادبي السومري • وكذلك
زودتنا فترة سلالة اور الثالثة بتآليف ادبية كثيرة • ومما لا شك
فيه ان الانتاج الادبي الذي ظهر في العصر السومري الحديث في
النهضة السومرية الجديدة ناجم عن اقتباس السومريين الكثير من
مقومات الحضارة السامية بعد ان احتك السومريون بالساميين
في خلال حكم الاكديين الذي شمل كل البلاد ودام حوالي ٢٠٠
سنة فأدى ذلك الى ان اقتبس السومريون منهم أصول الآداب
السامية •

اما الخط المسماري الذي نسب اختراعه الى السومريين فكان
قد ظهر في الالف الرابعة قبل الميلاد لاول مرة (قبل ان يكون
السومريون قد وجدوا بعد) على هيأة ألواح صورية (أي ان كل

علامة مسمارية كانت تمثل صورة الشيء المراد كتابته) او الكلمة
المطلوب التعبير عنها • والثابت لدى العلماء ان اول واقدم كتابة
صورية معروفة الى الآن وصلت الينا من كيش الساميةوليس
من سومر ، ولم تكن هذه الكتابة على الطين كما كانت عليه الرقم
السومرية التي اكتشفت في الوركاء فيما بعد ، بل كانت منقوشة
على الحجر ويرقى تاريخها الى حوالي سنة ٤٠٠٠ ق•م •

ومجمل القول اننا لا نملك أي دليل تاريخي ينص على ان
السومريين هم الذين اكتشفوا الخط المسماري بعد ان توفرت
لديهم الكتابة بلغتهم بل على عكس ذلك ان كل الدلائل التي بين
أيدينا تؤكد بأن الساميين هم الذين اكتشفوا الخط المسماري
واستعملوه بنطاق واسع في كل البلاد التي سيطروا عليها خاصة
وقد ثبت لدينا ان الساميين تواجدوا في المنطقة قبل السومريين،
ولو كان الخط المسماري من نتاج السومريين وحـــدهم لكان
الساميون قد اخذوا معه اللغة السومرية التي كانت تستعمل مـــع
الاكدية السامية في كيش بل ان السومريين هم الذين استعاروا
كلمات اكدية سامية وادخلوها في لغتهم السومرية ، وهذا ما يدل
على ان الساميين سبقوا السومريين في الاســـتيطان في وادي
الرافدين فاقتبس السومريون كلمات سامية استعاروها من الاكدية
السامية •

والدلائل التي تؤيد ان الساميين هم الذين اكتشفوا الخط
المسماري هي كما يلي : ـ

١ ـ ان اقدم نموذج للكتابة التصويرية عثر عليه في كيش السامية وليس في سومر كما سبقت الاشارة الى ذلك ،وذلك قبل ان يكون السومريون قد ظهروا على مسرح الاحداث٠

٢ ـ ان الرأي الذي ابداه بعض الباحثين من ان اصحاب حضارة العبيد هم الذين اكتشفوا الخط المسماري ينسجم مع الواقع التاريخي ومع المنطق وبدورنا نؤيده • ولما كانت الدلائل تؤيد بأن حضارة العبيد سامية بدليل وجودها في البلاد السامية المجاورة وهي سورية وجزيرة العرب والخليج العربي والعراق فلا يمكن أن تكون حضارة العبيد العراقية الا من الساميين أيضا بطبيعة الحال ، وبذا يكون الساميون هم الذين اكتشفوا الخط المسماري ، ويجب ان لا ننسى ان الساميين الكنعانيين هم الذين اكتشفوا فيما بعد الابجدية في القرن التاسع عشر قبل الميلاد •

٣ ـ لقد ثبت مؤخرا بعد اكتشاف لغة ايبلا السامية في « تل مرديخ » بسورية التي تعود الى سنة ٣٠٠٠ ق • م انهم قد استعملوا الخط المسماري بلغتهم الابيلوية مما يدل على ان الساميين سبقوا السومريين في اكتشاف الخط المسماري واستعملوه في كتابة لهجتهم الكنعانية القديمة قبل السومريين •

٤ ـ كان العيلاميون يستعملون الخط المسماري مثل السومريين ولا نعلم من استعمل الكتابة المسمارية قبل الآخر •

نخلص من كل ذلك الى ان عزو اكتشاف الكتابة بالخط المسماري الى السومريين لا يخلو من حكم متسرع بعيد عن الموضوعية والامانة العلمية •

الخلاصة

ان المكتشفات الآثارية الاخيرة في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي وفي العراق قد زودتنا مؤخرا بمعلومات ووثائق جديدة تمكننا من تقويم تاريخ وادي الرافدين القديم تقويما صحيحا يظهره على حقيقته •

١ ـ لقد كشفت نتائج التحريات في سورية عن أقدم مستوطن سامي على ضفة الفرات الغربية شرقي مدينة حلب يرجع الى بداية الالف التاسعة قبل الميلاد ، وهذا ما يدل على ان هجرة العرب من جزيرة العرب الى سورية بطريق البادية (بادية الشام) كانت قد بدأت منذ ذلك التاريخ • وهذا يتوافق مع بداية دورة الجفاف الحالية التي تلي الدورة الجليدية الرابعة والاخيرة وقد حددها العلماء بالسنة عشرة آلاف قبل الميلاد •

٢ ـ كما ان التنقيبات في العراق قد دلت على ان اقدم استيطان في السهل الرسوبي من جنوب العراق يرجع الى الالف الخامسة قبل الميلاد في الموقع المعروف بـ « العبيد » وهو يمثل بداية تاريخ العراق في وادي الرافدين ٠

كما وقد دلت التنقيبات في العراق على ان حضارة العبيد هذه وجدت آثارها في كل انحاء العراق (شماله ووسطه وجنوبه) ، كما وجدت آثار العبيد في المدن السومرية وفي المدن السامية ٠

وقد دلت الدراسات الانثروبولوجية للهياكل العظيمة التي وجدت في مقبرة اريدو والتي تنتمي الى حضارة العبيد على ان سكان العبيد واريدو هم من اجناس حوض البحر المتوسط الذين منهم الساميون العرب الذين نزحوا من جزيرة العرب اثر الجفاف الذي حل بها (انظر : سومر م٥، ج١ ، ١٩٤٩ القسم الانكليزي ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ، كذلك القسم العربي من العدد نفسه ، ص ١٦٠) ٠

٣ ـ لقد دلت التنقيبات التي اجرتها بعثة دانيماركية في الخليج العربي على وجود اكثر من اربعين موقعا عثر فيها على نفس آثار العبيد العراقية مما يدل على صلة حضارة الخليج العربي بحضارة العبيد العراقية في جنوب العراق ٠

٤ ـ كما دلت التنقيبات التي اجريت مؤخرا في شرقي جزيرة العرب على ان هناك عددا من المواقع الآثارية عثر فيها على

نفس آثار حضارة العبيد العراقية مما يدل على صلةحضارة شرقي جزيرة العرب بجنوب العراق ٠

٥ ـ وقد دلت التنقيبات التي اجريت في سورية على ان هناك عددا من المواقع الآثارية واهمها حضارة تل حلف عثر فيها على نفس حضارة العبيد مما يدل على صلة حضارة شمال وادي الرافدين في سورية بجنوب وادي الرافدين في العراق والخليج العربي وجزيرة العرب وفي كل هذا تثبيت للحقائق التاريخية التالية :

اولا : كانت هناك وحدة حضارية بين وادي الرافدين والبلاد العربية توضح الاسس المشتركة لعناصر الحياة بين سكنة الخليج العربي وجزيرة العرب القدماء من جهة وبين سكان بلاد وادي الرافدين من جهة اخرى ٠

ثانيا : ان هجرات العرب بدأت من جزيرة العرب منذ سنة ٩٠٠٠ ق٠م٠ وليس ٣٠٠٠ سنة ق٠م٠ حسب التقدير المتعارف عليه ٠

ثالثا : ان حضارة وادي الرافدين سامية عربية منبعها البشري جزيرة العرب ٠

رابعا : ان اقدم حضارة في العراق هي حضارة العبيد واريدو التي ترجع الى سنة ٥٠٠٠ ق٠م٠ وهي تمثل اقدم استيطان سامي عربي في جنوب العراق وكان قبل تواجد السومريين في المنطقة ٠
لقد حاول الغربيون مسخ تاريخ وادي الرافدين القديم فابتدعوا نظرية مفادها ان حضارة الرافدين الاساسية ومن ضمنه

العراق هي الحضارة السومرية الغريبة عن السامية لغويا ، وذلك بغية جعل المبادهة الحضارية في وادي الرافدين الى عنصر غريب عن السامية • هذا في حين ان كل الدلائل والقرائن التاريخية تدل على ان حضارة العراق الاساسية عربية كان اول ظهورها في العبيد وفي أريدو وترجع الى سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد وهي تمثل اقدم استيطان سامي في العراق • وهناك ادلة على ان الساميين العرب كانوا قد استقروا بعد هجرتهم من جزيرة العرب في سورية على ضفة الفرات الغربية منذ سنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد ثم انحدروا جنوبا نحو العراق فكونوا حضارتهم السامية العربية في كيش بجوار بابل في الالف الخامسة قبل الميلاد • وهذه هي حضارة العراق الاساسية مركزها العبيد وأريدو التي تمثل أقدم استيطان سامي في العراق في ما قبل التاريخ • وعلى الرغم من كل ذلك اعتبر الباحثون هذه الحضارة حضارة سومرية قبل ان يكون السومريون قد تواجدوا في العراق بل اعتبروا اصحاب حضارة العبيد مجهولي الهوية •

وختاما ندون فيما يلي التسلسل الزمني لمراحل حضارة وادي الرافدين بالسنوات قبل الميلاد :

السنة	عصر ما قبل التاريخ او العصر الحجري
١٠٠ ألف ـ ١٥ ألف	المرحلة الاولى ـ ازدهرت في جزيرة العرب في خلال العصر الجليدي الرابع(ورم)•
٧٠٠٠ ق•م• ـ ٥٠٠٠ ق•م•	المرحلة الثانية ـ ازدهرت في سورية وفلسطين وتمثل اقدم استيطان سامي بعد هجرة سكان جزيرة العرب اثر الجفاف الذي حل بها •

السنة	عصر ما قبل التاريخ او العصر الحجري
٥٠٠٠ق•م•ـ٣٠٠٠ق•م•	المرحلة الثالثة ـ ازدهرت في العراق وتمثل اقدم استيطان زراعي سامي على نهري دجلة والفرات في جنوب وادي الرافدين •

العصر التاريخي ـ الساميون والسومريون

السنة	
٣٠٠٠ق•م•ـ٢٣٧٠ق•م•	المرحلة الرابعة ـ ازدهرت في العراق بمشاركة الساميين والسومريين بعد ظهور السومريين في العصر السومري القديم •
٢٣٧٠ق•م ـ ٢١٥٩ق•م•	الامبراطورية الاكدية •
٢٢٨٠ق•م•ـ٢٠٠٣ق•م•	العصر السومري الحديث

القسم الثاني

« يستمد العالم العربي أهميته التاريخية من ظهور الزراعة في ارجائه لاول مرة في تاريخ البشرية ٠ ففي العالم العربي ، وفي مصر بالذات ، زرع القمح وصنع الخبز ، عماد غذاء الانسان ، لاول مرة منذ نصف مليون سنة على الارجح الاقوال العلمية ، وقد زود ابتكار زراعة الغلال في منطقة العالم العربي بميزة رائعة على العالم القديم بأســره » ٠

« توينبي »

المرحلة الأولى

حضارة الساميين العرب في جزيرة العرب

١ ـ حضارة الساميين العرب في جزيرة العرب ٠

٢ ـ شبه جزيرة العرب مهد الحضارات السامية ٠

٣ ـ الدورات الجليدية والفترات الدفيئة ٠

٤ ـ العرب مؤسسو الزراعة الاصطناعية التي تعتمد على الري

١ ـ حضارة الساميين العرب في جزيرة العرب :

ان حضارة وادي الرافدين القديمة مرت باربع مراحل في خلال تطورها عبر التاريخ ، المرحلة الاولى وهي أقدمها تبدأ في حوالي ١٠٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد وتنتهي في حوالي سنة ١٥٠٠٠ ق٠م الميلاد ، وقد عاشت هذه الحضارة ضمن جزيرة العرب ٠ ففي هذه الفترة التي دامت حوالي مائة الف سنة (الدورة الجليدية الرابعة) كانت أوربا مغطاة بالثلوج في حين كانت الجزيرة العربية تتمتع بجو معتدل رطب تكثر فيه الامطار في كل المواسم شتاءا وصيفا مما ساعد على نمو الغابات الكثيفة في المنطقة،تحولت فيما بعد عصر الجفاف نتيجة للضغط الى طبقات نفطية ، كما ساعدت هذه الظروف الملائمة الى تكوين حضارة نهرية لا تقل شأنا من حضارة وادي النيل وحضارة وادي الرافدين على الرغم من امكاناتها المحدودة آنذاك ، إذ كانت الاودية الحالية أنهرا جارية تبعث عناصر الحياة وتنشر الخير والبركة في البلاد ، وكان هناك نهران كبيران يخترقان جزيرة العرب من أقصاها الى أقصاها تقوم عليها الزراعة التي تعتمد على الري الدائم ٠ وفي هذه الفترة انتقل سكان الجزيرة العربية من دور القنص والصيد الى طور الفلاحة والزراعة التي تعتمد على الري للحصول على قوتهم اليومي ٠

والمعلوم ان ممارسة الري في الزراعة هو الذي خلق الحضارة القديمة ، فالري والحضارة صنوان لا يفترقان ، فحيثما وجدت الحضارة وظهر التمدن ازدهرت معهما الزراعة التي تعتمد على الري ، وحيثما وجد نظام الري ازدهرت معه الحضارة ، والماء مصدر الحياة « وجعلنا من الماء كل شيء حي » (قرآن كريم). فما قامت حضارة ذات شأن في تاريخ الانسان القديم الا كانت تنظيمات الري ومشاريعها الزراعية تحتضن الحضارة فتسير معهما جنباً الى جنب في مسيرة تطورهما وتقدمهما .

وقد يقال إن اقتصار الجهود على الزراعة وإغفال الصناعة هما من علامات التخلف ، ولكن نسي اصحاب هذه النظرية إن ظهور الزراعة الاصطناعية في نشوء الحضارات القديمة يعد اسهاماً مهماً في تقدم الحضارة البشرية ، لان الانسان القديم استطاع بدافع الغريزة أن يكتشف أول مرة البذور البرية في الطبيعة ويعيد زراعتها ويتعهدها بالرعاية بتأمين إروائها ونقل المياه اليها حتى أنبتت نباتاً حسناً يختلف عن الثمر البري ، ومن هنا تغيرت نظرة الانسان القديم للطبيعة ، فصار يزرع كميات تزيد عن حاجته المعاشية ثم صار يخزن الغلة ويحافظ عليها باعتبارها مصدر ثروة ، وأخذ بعد ذلك يتاجر بالغلة الفائضة عن حاجته المعاشية لشراء ما يحتاجه من المؤن بطريقة المقايضة ، ومن هنا نشأت أول مرة في التاريخ فكرة التجارة ومعها الاضطلاع بمهمة نقل البضائع التجارية من مكان الى آخر ، لان التجارة تتصل اتصالا وثيقا مع وسائل النقل ، ويدلنا التاريخ على ان

الحروب والفتوحات بدأت اول ما بدأت للاستيلاء على مساحات واسعة من الاراضي الزراعية التي اصبحت أهم مصدر للقوة والثروة حتى صار الملوك يتنافسون فيما بينهم في انشاء المشاريع الزراعية التي تعتمد على الري . وهناك من يرى من الباحثين ان اختراع الزراعة الاصطناعية هو الذي اوجد نظام الملكية الفردية المعمول به في العالم حاليا .

وهناك دلائل تشير الى ان الماشية بما فيها الجاموس والمعز والشان دجنت واستخدمت اقتصاديا في اليمن وبلاد العرب القديمة قبل أن تدجن في مصر والعراق ، كما أن القمح والشعير كانا ينبتان فيها بشكل طبيعي دون ان يزرع .

٢ ـ شبه جزيرة العرب مهد الحضارات السامية :

لذلك فقد اجمع العلماء على ان شبه جزيرة العرب هي مهد الحضارات السامية ووطن الساميين الاوائل ، فيها نشأت الحضارة البشرية أول مرة في تاريخ الانسان القديم ـ نشأت على أساس أقدم اختراع انساني قامت عليه كل الحضارات القديمة في العالم ، ألا وهو اختراع الزراعة التي تعتمد على الري . لذا فسكان الجزيرة العربية هم الذين ابتدعوا هذا الاختراع أول مرة في التاريخ القديم ، فهم مؤسسو الحضارة النهرية أو الاروائية وذلك قبل نصف مليون سنة في العصور الجليدية المتتابعة . ومن الثابت أيضا ان سكان شبه جزيرة العرب هم الذين نقلوا هذه الحضارة الى العالم باسره إثر هجراتهم المتتابعة

الى الهلال الخصيب قبل آلاف السنين في اعقاب الدورة الجليدية الاخيرة والرابعة بعد الجفاف الذي حل بالبلاد في الفترة الدفيئة التي يجتازها العالم اليوم •

٣ ـ الدورات الجليدية والفترات الدفيئة :

وهذه هي أسماء الدورات الجليدية الاربع وأطوالها الزمنية التقريبيــة :

العصور الجليديــة في أوربــا وأطوالهــا الزمنيــة التقريبية بالسنوات قبل الميــلاد •

	بداية الدورة	نهاية الدورة	مدة الدورة
١ ـ دورة «كنز» (Gunz)	٦٠٠ر٠٠٠	٥٤٠ر٠٠٠	٦٠ر٠٠٠
الفترة الدفيئــة الاولى (ـ كنز ـ مندل)	٥٤٠ر٠٠٠	٤٨٠ر٠٠٠	٦٠ر٠٠٠
٢ ـ دورة مندل (Mindel)	٤٨٠ر٠٠٠	٤٣٠ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠
الفترة الدفيئة الثانية (مندل رس)	٤٣٠ر٠٠٠	٢٤٠ر٠٠٠	٩٠ر٠٠٠
٣ ـ دورة رس (Riss)	٢٤٠ر٠٠٠	١٨٠ر٠٠٠	٦٠ر٠٠٠
الفترة الدفيئة الثالثة (رس ـ ورم)	١٨٠ر٠٠٠	١٢٠ر٠٠٠	٦٠ر٠٠٠
٤ ـ دورة ورم (Wurm)	١٢٠ر٠٠٠	١٥ر٠٠٠	١٠٥ر٠٠٠
الفترة الدفيئة الرابعة	١٥ر٠٠٠	—	—

(يقابل الدورات الجليدية الاوروبية فترات ممطرة (Pluvials) في الاجزاء الوسطى والجنوبية من الارض ومنها الشرق الادنى وشمال افريقية ، ويقابل الفترات بين دورة جليدية واخرى فترة جفاف في تلك المناطق اطلقنا عليها اسم (فترة دفيئة)[1] •

يتضح من جدول العصور الجليدية وأطوالها الزمنية ان أطول دورة جليدية شهدها العالم في تاريخه القديم هي دورة جليد (ورم) الرابعة والاخيرة • وقد دامت أكثر من مائة ألف عام • وهذا الدور يهمنا في بحثنا لانه لعب دوراً مهمــا في اختـــراع الزراعة التي تعتمد على الري ، ثم تلاها دور الجفاف الذي حمل السكان الى الهجرة الى الهلال الخصيب • كما تهمنا الفترة الدفيئة الرابعة التي يعيشها العالم اليوم ومن ضمنه الشرق الادنى •

وانه لمن الاهمية بمكان الاشارة الى أن منطقــة الجـزيرة العربية كانت قد سبقت مناطق الشرق الادنى في تطورها فـــي

(١) انظر : طه باقر « مقدمة في أدب العراق القديم » ، ١٩٧٦ ، ص١٩ـ٢٠ ؛ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ١٩٧٣ ، ص١٦٨ • انظر ايضا عن العصور الجليدية :

R. A. Daly, "the Changing World of the Ice Age", New Haven, Yale University Press, 1934; R. F. Flint, "Glacial Geology and the Pleistocene Epoch", N. Y. 1947;

W. B. Wright, "the Quartermary Ice Age", London, 1914;

F. E. Zeuner, "Dating the Past", London, 1950.

عصور ما قبل التاريخ من مرحلة الصيد وجمع الغذاء الى مرحلة تدجين الحيوان ثم الزراعة فمرحلة القرى الزراعية ثم التجمعات الزراعية في عصر العبيد ، اذ لم تنطبق عليها الازمنة التي حددها العلماء في الشرق الادنى ، وهي الانتقال من مرحلة الصيد وجمع الغذاء الى مرحلة تدجين الحيوان في حوالي ٩٠٠٠ق٠م ثم الانتقال الى مرحلة الزراعة في حوالي ٧٠٠٠ ق٠م٠ ، وذلك لما تمتعت به الجزيرة العربية من طيب المناخ وتوافر المياه وخصوبة الارض في خلال الدورة الجليدية الرابعة والاخيرة (دورة ورم) التي دامت أكثر من مائة ألف سنة بين سنة ١٢٠ر٠٠٠ الى ١٥ر٠٠٠ ق٠م٠ ، وهي أطول دورة جليد شهدها العالم في عصور ما قبل التاريخ وقد سبقت الاشارة الى ذلك ٠

والارجح ان انتقال سكان شبه جزيرة العرب من طور القنص والصيد الى الفلاحة والزراعة على الري قد تم في القسم الاخير من دورة (ورم) الجليدية المذكورة ، أي في خلال العشرة آلاف سنة الاخيرة من هذه الدورة قبل حلول الجفاف ٠ وقد اكتسب السكان في هذه الدورة خبرة فنية في أعمال الري واتقنوها اتقاناً تاماً على الرغم من قلة معلوماتنا عنها بسبب خلو هذا الدور من عصر الكتابة والتدوين ٠ وهذا يتوافق مع زمن العصر الحجري الحديث ٠

٤ ـ العرب مؤسسو الزراعة الاصطناعية التي تعتمد على الري :

وبذا يكون العرب الذين اطلق عليهم اسم ساميين خطأ أول من اخترع الزراعة التي تعتمد على الري وأول وأقدم من مارس

الفلاحة والزراعة وأول من اسس الحضارة النهرية او الاروائية في العالم ٠ وهذا يفسر لنا كيف استطاع السكان الذين نزحوا من جزيرة العرب الى الهلال الخصيب اثر الجفاف الذى حل بوطنهم ان يؤسسوا أعظم الامبراطوريات مما عرفه العالم القديم بمدة قصيرة نسبيا في مستوطناتهم الجديدة في وادي الرافدين ، إذ كانوا مزودين بخبرة فنية في الزراعة التي تعتمد على الري فنقلوا معهم حضارتهم النهرية الى عالمهم الجديد[٢] ٠

وقد يقال بان خلو هذا العصر القديم من وسائل التدوين والكتابة لا يقوم دليلا ملموسا على ممارسة سكان جزيرة العرب للزراعة التي تعتمد على الري أو اختراعهم للزراعة أول مرة ، والجواب على هذا السؤال : ان توافر الماء والارض الخصبة والجو الملائم كل ذلك كفيل بان يحمل السكان بدافع الغريزة الى ممارسة الزراعة لتأمين قوتهم اليومي ٠ وهنا لنقف قليلا ونسأل: من علم النملة ان تجمع قوتها وتدخره لتعيش منه في موسم الشتاء ؟ فهل كانت كتابة تعلمها ذلك ؟ ومن علم النحل ان يصنع الخلايا لوضع العسل الذي يجمعه من الازهار ليقتات منه ويمون ملكته به ، فهل كانت كتابة تعلمه كيف يصنع الخلايا ؟ ومن علم الطير ان يبني عشه ويجمع الحب ليطعم به صغاره ، فهل كانت كتابة تعلمه ذلك ؟ ان دافع الغريزة من أجل البقاء ، هو نفسه الذي حمل النملة والنحل والطير حمل أهل جزيرة العرب

---

(٢) انظر : كتاب « حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور » للدكتور احمد سوسة ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٩ ٠

ان يخترعوا الزراعة ويتعلموا طرق الري لاروائها ، والحاجة هي أم الاختراع • فالغريزة اذن هي التي حملت سكان الجزيرة العربية على اختراع الزراعة ليسدوا بها حاجتهم الى القوت اليومي بعد ان هجروا الصيد وتحولوا الى الفلاحة والزراعة مستفيدين من طيب المناخ ووفرة المطر والمياه ، فاخترعوا الزراعة لاول مرة في تاريخ البشر بعد ان جربوا البذور البرية وعزلوا أصنافها كل صنف على انفراد • ولما كانت الزراعة والري عماد الحضارة القديمة فالعرب اذن هم مؤسسو الحضارة الانسانية في أقدم مراحلها •

المرحلة الثانية

حضارة الساميين الغربيين العرب

في شمال وادي الرافدين «سورية»

١ حضارة الساميين العرب في شمال وادي الرافدين•

٢ ـ حضارة تل حلف في سورية •

٣ ـ تاريخ صنع الفخار في وادي الرافدين •

٤ ـ فخار تل حلف •

٥ ـ حضارة منطقة ماري السامية ـ دولة عمورو •

٦ ـ مملكة ايبلا جنوبي حلب •

١ - حضارة الساميين العرب في شمال وادي الرافدين :

وهناك شبه اجماع العلماء على أن المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب ومن ضمنها اليمن هي الوطن الاصلي للشعوب السامية التي نزحت من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها في أعقاب الدورة الجليدية الرابعة • وقد توجهت هذه القبائل الى شمال الجزيرة ومن هناك توزعوا في الهلال الخصيب وكونوا حضاراتهم فيها وفي جملتها حضارة وادي الرافدين الشمالية او الحضارة السامية الغربية ، وهذه تتميز عن الحضارة السامية الشرقية ، أي الاكدية الجنوبية بلهجتها وأسماء العلم لديها • وكان الساميون الغربيون اعظم بأسا وأشد رغبة في التوسع لانهم كانوا يحصلون على المدد البشري المتزايد من الصحراء كما هي الحال بالنسبة الى جميع القبائل البدوية ، وهم أقرب الى الكنعانيين الذين استوطنوا غربي بلاد الشام • وهؤلاء هم أقدم وأول المهاجرين من جزيرة العرب الى الهلال الخصيب لقربهم من البادية (بادية الشام) وقد جاؤا الى شمال وادي الرافدين وهم مزودون بحضارة نهرية وخبرة فنية في حقل الزراعة التي تعتمد على الري واستخدموا هذه الخبرة في ممارسة الزراعة في وطنهم الجديد •

وقد استقرت هذه الحضارة السامية العربية التي تكون المرحلة الثانية من مراحل تطور حضارة وادي الرافدين في المنطقة الشمالية من وادي الرافدين • ولما كان الساميون الغربيون سبقوا الساميين الشرقيين في الاستقرار في شمال وادي الرافدين ، فلابد أن يكون الساميون الغربيون هم أول من نقل حضارة جزيرة العرب الى وادي الرافدين • فقد دلت أعمال التنقيب التي اجريت في شمال وادي الرافدين بان أقدم استيطان فيه يرجع الى بداية الالف التاسعة قبل الميلاد ، إذ عثر في « تل المريبط » الواقع على الضفة الغربية من نهر الفرات في الجزيرة السورية على بعد حوالي ثمانين كيلو مترا شرقي مدينة حلب على أقدم قرية سكنية عرفها القطر السوري وتعود الى الالف التاسعة قبل الميلاد ، وتنتمي هذه الحضارة الى الحضارة النطوفية نسبة الى أحد المواقع في فلسطين ، كما اكتشفت الدلائل السكنية الاولى في أوغاريت (رأس شمرة) شمالي اللاذقية وفي جبيل (بيبلوس) وأريحا في فلسطين التي تعود الى الالف السابعة قبل الميلاد • ويعتقد ان بالامكان اكتشاف مناطق سكنية أقدم عهدا لو تمت عمليات التنقيب في أماكن اخرى من أوغاريت • وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن هجرة الساميين العرب من شبه جزيرة العرب الى شمال وادي الرافدين قد بدأت منذ الالف التاسعة قبل الميلاد[١] •

(١) محمد وحيد خياطه ، مدير آثار حلب ، مجلة بين النهرين ، العدد ٢٦ (١٩٧٩) ص١٢٠-١٢١ • انظر ايضا : « آثار الفرات – مكتشفات الحملة الدولية لانقاذ آثار الفرات » ، المتحف الوطني بحلب ١٩٧٤ •

ومن المهم ذكره هنا ان اكثر المستشرقين والمؤرخين قد اتفقوا على ان الهجرة الاولى من جزيرة العرب تمت سنة ٣٥٠٠ ق•م• واتجهت هذه الهجرة الى وادي الفرات ومنها نشأت حضارة البابليين والاشوريين ، غير ان الاكتشاف الاخير القائل بان أقدم استيطان على نهر الفرات كان قد تم منذ سنة ٩٠٠٠ ق•م• يؤكد خطل هذه النظرية القديمة •

وقد دلت التنقيبات التي اجريت في موقع تل « أبى هريرة » في منطقة غمر الفرات أن أول استيطان لهذا الموقع كان في العصر الحجري الوسيط وفي بداية العصر الحجري الحديث أي منذ حوالي ٩٠٠٠ حتى عام ٥٥٠٠ قبل الميلاد ، وقد استخلص الباحثون ان قرويي هذا الموقع مارسوا الزراعة عام ٦٠٠٠ قبل الميلاد وربما قبل ذلك بزمن طويل ، وكان الموتى في هذا الموقع يدفنون في قبور قليلة العمق تحت أرض البيوت وقد وجد الى جانب الهياكل بعض الامتعة الشخصية مما يدل على ان السكان كانوا يعتقدون بوجود حياة أخرى بعد الموت[٢] •

٢ – حضارة تل حلف :

وقد شهدت هذه المرحلة الثانية من مراحل حضارة وادي الرافدين في اواسط نهر الفرات في سورية مستوطنات سامية أخرى منها منطقة تل حلف ومنطقة ماري ومملكة ايبلا • فقد اتخذ العلماء موقع منطقة حلف دوراً حضارياً خاصا حدد تاريخه بالحقبة

(٢) « مكتشفات الحملة الدولية » ، مصدر سابق ، ص ٥٤ •

التى تمتد بين ٥٠٠٠ سنة ق٠م٠ و ٤٥٠٠ سنة ق٠م٠ وقد سمي هذا الدور بدور حلف نسبة الى تل حلف الواقع في سورية على بعد خمسة كيلو مترات من جنوب غربي رأس العين قرب منبع الخابور (خابور الفرات) على الحدود التركية السورية على بعد نحو ٤٠ ميلا شمال غربي نينوى ٠ اكتشف في هذا التل فخار رقيق مصبوغ بعدة ألوان ، وابرز ما يمتاز به هذا الفخار الاواني الفخارية الجميلة ذات النقوش الزاهية ٠ والواقع ان براعة صنع هذا الفخار وجودة تزويقه يضاهي اجمل ما صنع من الفخار الملون في تاريخ الحضارات القديمة ، ومما يزيد في قيمة هذه الاواني الفخارية انها صنعت باليد حيث لم يكن قد استعمل دولاب الخزاف بعد ٠

٣ ـ تاريخ صنع الفخار في وادي الرافدين :

لم يعرف الانسان القديم في العصر الحجرى القديم صنع الفخار ، ولما تعلم صنعه كانت الاواني الفخارية من النوع الساذج البدائي الخالي من الزخرفة والالوان ، وكان يصنع باليد حتى اكتشف دولاب الخزاف في أواخر العصر الحجري المعدني ٠ وأقدم فخار عراقي عثر عليه في قرية (جرمو) في شمال العراق وهي أولى قرى العصر الحجري الحديث ، أما الفخار في السهل الرسوبي فأقدم فخار عثر عليه في الموقع الاثرى المسمى « تل العبيد » ويمثل هذا الدور أقدم دور للاستيطان في السهل الرسوبي ٠

ويؤكد الدكتور مورتكات[٣] ان اختراع الدولاب تم في الحقبة التي تشمل العصر الحجري المعدني الوسيط (٥٠٠٠ سنة ق٠م٠) أو دور العبيد الاول والعصر الحجري المعدني الاخير (٤٠٠٠ – ٣٥٠٠ ق٠م٠) او دور العبيد الثاني ويقول : « حقا ان صناعة الفخار قد حققت تقدماً تكنيكياً جبارا خلال هذه الحقبة باختراع الدولاب الذي كان يدار يدويا ببطء » ويعتقد ان استعمال دولاب الخزاف ظهر لاول مرة لصنع الاواني الفخارية في طور الوركاء الاخير » ٠

وقد ارتأى علماء الآثار تقسيم العصر الحجري الحديث الى دورين بالنسبة للفخار ، دور ما قبل الفخار (Pre-Pottery Neolithic) ويقع في ما بين الالف الثامنة والسابعة ق٠م٠ ودور الفخار (Pottery Neolithic) وهو الطور الحجري الحديث الذي يمثل الاطوار الحجرية الحديثة ما بعد الالف السابعة ق٠م٠ وهي الاطوار التي ازدهرت فيها القرى الفلاحية في شمالي العراق وزاد فيها اعتماد الانسان على الزراعة وتدجين الحيوان[٤] ٠

---

(٣) « تاريخ الشرق الادنى القديم » ، ص ٢٥ ٠

(٤) انظر البحث الوافي عن صناعة الفخار وأنواعه في العراق القديم للدكتور فرج بصمهجي المنشور في سومر (م٤ ، ج١ ، كانون الثاني ١٩٤٨ ، ص١٥ـ٤٦) جاء في هذا المقال بحث عن كل ادوار انواع الفخار في الشرق الادنى كفخار سكجة كوري في شمال سورية وفخار حسونة وفخار سامراء حلف وفخار برسوبوليس والسوس وفخار اوروك (الوركاء) وفخار دور

←

٤ ـ فخار تل حلف :

وقد اكتشف فخار حلف في جملة مواقع اثرية منها نينوى وتل الاربجية وچغار بازار في الجزيرة العليا وتبة كورا قرب الموصل وتل باغوز مقابل بلدة البو كمال وغيرها • وقد وجدت في منطقة الخابور عدة مواضع اثرية كشف فيها عن فخار حلف مثل تل براك وانتشر كذلك عن طريق نهر الباليخ حيث وجد فخارة في الموضع المسمى تل اسود وعن طريق كركميش (جرابلس الحالية) الى بلاد الشام وكيليكية في الاناضول ، كما وجد في عدة أماكن على ساحل البحر المتوسط مثل اوغاريت القديمة (رأس شمرة) قرب اللاذقية •

وقد عثر في تل حلف على رموز دينية دمى تمثل الالهة الام (Mother Goddess) مصنوعة بهيئة امرأة بدينة تضع يديها على ثدييها المبالغ في كبرهما وجسمها مزين بخطوط يظن انها نوع من الوشم ، وهذه هي اول معبود بصورة امرأة رمز لقوى الخصب والانجاب وقوى الطبيعة المولدة الغامضة ، وقد وجد مثل هذه الرموز في كريت وفي بلاد الاناضول(٥) •

جمدة نصر وفخار فجر السلالات والفخار الاكدي والفخار البابلي القديم والفخار الحذري النوزي والاشوري والبابلي الحديث وفخار العراق بعد سقوط الدولة البابلية حتى ظهور الاسلام والفخار الاخميني والفرثي والساساني والمسيحي والاسلامي وخزف سامراء وفخارياتها الى غير ذلك •

(٥) حول دور حلف انظر : طه باقر «مقدمة» ، مصدر سابق ، ص ٢١٧ـ٢٢١ انظر ايضا :
Von Oppenheim "Der Tell Halaf (1931; Mallowan in Iraq, III (1936); Ibid, IV (1937).

٥ ـ حضارة منطقة ماري السامية ـ دولة عمورو :

وكانت قد ازدهرت منطقة ماري السامية في عهد فجر السلالات وتعتبر من المواقع الاثارية المهمة وتعرف بقاياها باسم (تل الحريري) على بعد نحو ١١ كيلو مترا شمال غربي بلدة البوكمال عند الحدود العراقية السورية وعلى بعد ٢ ١/٢ كيلو مترا غربي نهر الفرات(٦) • وهناك ما يدل على أن منطقة ماري كانت منذ أقدم عصور التاريخ قد استوطنها الساميون العموريون وأسسوا فيها دولة « عمورو » واتخذوا ماري عاصمة لهم • وتدل الدراسات الاثارية على ان العموريين كانوا قد انتشروا في المنطقة الممتدة من ساحل البحر المتوسط الى الفرات منذ الالف الرابعة أو الخامسة قبل الميلاد(٧) •

وقد اسس هؤلاء في وطنهم الجديد دولة « عمورو » او « مارتو » في السومرية ، أي بلد الغرب ، واتخذوا بلدة ماري عاصمة لهم ، ويرى هالدار ان ماري مشتقة من مارتو السومرية، وماري هذه وهي المدينة العاشرة التي اسست بعد الطوفان كانت

---

(٦) حول مملكة ماري انظر طه باقر ، «مقدمة» ، مصدر سابق ، ص٢٨٣ـ٢٨٥ وص٤١٨ـ٤٢١ ، انظر ايضا :
"Archives Royales de Mari", Ed. Parrot et Dossin, Paris, 1950 ff.

(٧) انظر :
A.T. Clay, "Amuru the Home of the Northern Semites", 1909; "The Empire of the Amorites", 1919; Alfred Haldar, "Who were the Amorites ?", Leiden, 1971.

مركزا لحضارة راقية عظم شأنها في الالفين الثالثة والثانية ق٠م٠ ويشاهد اليوم مقابل « تل الحريرى » على الجانب الايسر من نهر الفرات تل اثرى يسمى « تل باغوز » يرجع تاريخه الى ما قبل ٦٠٠٠ سنة ق٠م٠[٨] ٠ والمرجع انه يمثل احدى المستوطنات التي أقامها العموريون (الساميون) على الضفاف الشرقية لنهر الفرات بعد نزوحهم من شبه جزيرة العرب ٠ ويبدو ان هذه المستعمرة السامية كانت تمارس الزراعة التي تعتمد على الري مستمدة مياه الارواء من نهر الخابور (خابور الفرات) ، وتشاهد اليوم آثار جدول قديم يأخذ من الضفة اليسرى لنهر الخابور ويمتد بموازاة ضفة نهر الفرات اليسرى مسافة ١١٢ كيلو مترا منتهيا عند تل باغوز ، ويسميه العامة نهر دورين ، ويعتقد ان هذه التسمية مشتقة من دارا احد ملوك الفرس الاخمينيين لعله جدد في عهده ٠ ويروي هذا الجدول الاراضي الزراعية الواقعة بين نهر الخابور عند مصبه في نهر الفرات والساحل الايسر لنهر الفرات ٠

---

(٨) تل باغوز تل أثري في سورية يقع على الجانب الايسر لنهر الفرات جنوب شرقي « تل الحريري » (ماري) يرجع الى عصر حسونة (٥٥٠٠ـ٤٨٠٠ ق٠م) ولعله من ملحقات ماري عاصمة العموريين ٠

ويقع تل باغوز في منطقة البوكمال في محافظة دير الزور بسورية عند قرية باغوز الواقعة في أسفل هضبة عالية ويسمى الموقع منطقة العرسي ٠ وعلى قمة هضبة الباغوز آثار حصن قديم لم يبق منه غير ثلاثة ابراج متباعدة عن بعضها البعض ٠ أما الباغوز فلفظة تركية تعني المضيق (انظر : « منطقة البوكمال في محافظة دير الزور » للمحامي عبدالقادر عياش ، دير الزور ، كانون الثاني ، ١٩٧٣) ٠

وقد كشفت التنقيبات الفرنسية التي اجريت في تل الحريرى منذ عام ١٩٣٣ عن برج مدرج وقصر عظيم من العهد البابلي القديم من القرن العشرين قبل الميلاد يحتوى على ٣٠٠ غرفة وقاعة واسعة تربو مساحته على ١٥ دونما عراقيا ٠ وقد عثر فيه على مجموعة من الالواح الطينية الاثرية بلغ عددها حوالى ٢٤٠٠ لوح ، تشتمل على الوثائق والسجلات الملكية الخاصة باخر ملك من ملوك سلالة ماري العمورية المدعو « زمري ـ ليم » (١٧٧٩ ـ ١٧٦١ ق٠م٠) وقد كان لعثور المنقبين على هذه الالواح نتائج مهمة في الكشف عن تاريخ بلاد الشام والشرق الادنى وعن دور العموريين في الالف الثانية ق٠م٠

وكانت لغة العموريين من اللغات السامية الغربية وهي شبيهة باللغة الكنعانية والفينيقية الغربية مع اختلاف بينهما في اللهجة وكلتاهما من فروع كتلة اللغات السامية الغربية الشمالية، أي اللغات السامية في سورية ، تمييزا لها عن اللغات الجنوبية التي تصنف مع كتلة اللغات السامية الشرقية أي مع الاكدية والبابلية والاشورية ٠ اما الالواح التي عثر عليها في قصر الملك « زمرى ـ ليم » فقد كتبت بالخط المسماري وباللغة الاكدية ٠

٦ ـ مملكة ايبلا جنوبي حلب :

وكان الساميون العرب قد اسسوا في شمال وادي الرافدين مملكة أخرى في منطقة الفرات الاوسط تسمى « ايبلا » عاصمتها « ايبلا » وكانت هذه المملكة تمتد من سيناء في الجنوب الى

أرض فلسطين ولبنان وسورية حتى جزيرة قبرص في الشمال الغربي ، وقد ورد اسم « ايبلا » مقترناً مع مملكة ماري حين ذكرت البلاد التي قام سرجون الاكدي (٢٣٧١ – ٢٣١٦ ق٠م) بالاستيلاء عليها هي وماري في الفرات الاوسط ٠ كما انه ورد ذكر منطقة ايبلا مع ماري في كتابات « نرام – سين » العاهل الاكدي (٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق٠م٠) ٠ وكان يظن الباحثون ان « ايبلا » هي إحدى الموانيء الفينيقية على البحر المتوسط وقد رجحوا احتمال كون جبيل الحالية الواقعة على ساحل البحر المتوسط شمالي بيروت تمثل موقع مدينة ايبلا حتى تم اكتشاف موقعها الحقيقي في جنوب مدينة حلب على بعد حوالي ٣٠ ميلا منها ٠ وقد عثر بين اطلال قصرها الملكي على الف وخمسمائة لوح من الطين مصفوفة على رفوف خشبية ، وهذه الرقم مكتوبة بكتابة مسمارية وباقدم لغة سامية معروفة حتى الان وقد اقر علماء اللغة انها تمثل اللغة الكنعانية القديمة(٨) ٠

(٨) عن اكتشاف موقع ايبلا انظر : مجلة العربي الكويتية ، العدد ٢٢٥ ، آب ١٩٧٧ ، ص ٨٥–٩٣ ، ٩٦–٩٧ ؛ العدد ٢٢٦ ، ايلول ١٩٧٧ ، ص ٥٢–٥٦ ؛ الدكتور احمد سوسة (حول الاكتشاف الحديث لموقع ايبلا في عدد آفاق عربية ، السنة الثالثة رقم ٤ (كانون الاول ١٩٧٧) دكتور عمر الدقاق ، « مدينة وتاريخ » ، مجلة الفيصل السعودية ، العدد ٣٢ (يناير ١٩٨٠) ، ص٣٥–٤٧ ٠

المرحلة الثالثة

حضارة الساميين العرب
في جنوب وادي الرافدين العراق

١ – حضارة الساميين العرب في جنوب وادي الرافدين (العراق) ٠

٢– انتقال الحضارة الاستيطانية السامية من الشمال الى الجنوب واستقرارها في كيش في جنوب العراق ٠

٣ – العصر الحجري المعدني ٠

٤ – انتشار الحضارة السامية في وادي الرافدين ٠

٥ – المراكز الحضارية في العراق ٠

أ ـ دور حسونة .

ب ـ دور سامراء .

ج ـ آثار منطقة ديالى ـ دور خفاجي وتل اسمر .

د ـ دور العبيد .

١ ـ آثار حضارة العبيد في جزيرة العرب .

آثار حضارة العبيد في الخليج العربي .

هـ ـ حضارة اريدو السامية .

و ـ حضارة الوركاء

ز ـ حضارة جمدة نصر .

ح ـ حضارة عصر مسيلم السامي .

٦ ـ تعليق حول حضارة العبيد .

٧ ـ الخلاصة .

١ ـ حضارة الساميين العرب في جنوب وادي الرافدين (العراق) :

بحثنا في المرحلة الثانية من مراحل تطور حضارة وادي الرافدين في هجرات سكان جزيرة العرب الى الهلال الخصيب إثر الجفاف الذي حل ببلادهم ودور وادي الفرات في صنع وازدهار الحضارة الاستيطانية في شمال وادي الرافدين (في سورية) التي ترجع الى ما قبل سنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد . والان ننتقل الى المرحلة الثالثة ، ففي هذه المرحلة انتقل ثقل الحضارة الاستيطانية من الشمال الى الجنوب وتمركز في جنوبي وادي الرافدين جاعلا منطقة كيش المدينة الام مركزا لتجمع النشاط السامي من الشمال في سورية ومن الجنوب في الخليج العربي ، ومن الشرق في جزيرة العرب وكان سبب هذا التحرك تكاثر عدد السكان وانتشار ممارسة الزراعة التي تعتمد على الري . نلاحظ هنا ان الساميين الغربيين لما انتقلوا الى الجنوب كان الاكديون موجودين في جنوب العراق فتولوا الزعامة السياسية في البلاد وصاروا يعرفون بالساميين الشرقيين لتمييزهم عن الساميين الغربيين .

٢ ـ انتقال الحضارة الاستيطانية السامية من الشمال الى الجنوب واستقرارها في كيش في جنوب العراق :

فقد حدد الدكتور مورتكات زمن انتقال الحضارة الاستيطانية من الشمال الى الجنوب ثم من الجنوب في الخليج العربي الى الشمال صوب مركز الساميين في كيش في حدود العصر الحجري المعدني الوسيط والاخير (٥٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق٠م) ، فيقول في كتابه « تاريخ الشرق الادنى القديم » (ص ٢٤) ما نصه : « ويبدو حتى الآن (يقصد حتى بداية العصر الحجري المعدني) ان مركز القيادة للشرق الادنى في التطور الحضاري للمجتمع الزراعي كان يتجسم في الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين وعلى الاخص في منطقة (تل حلف) المحصورة بين طوروس وزاغروس ، الا أن الحالة تبدلت في خلال حقبة العصر الحجري المعدني الوسيط والاخير ، إذ يبدو وكأن الجنوب قد بدأ ولاول مرة يحاذي الشمال في كل خطوة يخطوها » ٠

هذا ما يؤيد ان الساميين الغربيين في سورية كانوا قد تمركزوا في منطقة تل حلف وما جاورها من مناطق تعود لدور حلف الحضاري، ثم انتقلوا الى الجنوب حيث استقروا في السهل الرسوبي من جنوب العراق ، وكان ذلك في العصر الحجري المعدني الوسيط والاخير ذلك ما يؤكد تواجد الساميين في جنوب العراق منذ سنة ٥٠٠٠ ق٠م وما بعدها ٠

ويؤكد الدكتور مورتكات ايضا أهمية تحول مركز ثقل الحضارة من أقصى الجنوب على الخليج العربي الى المنطقة التي

تعلوه قليلا الى الشمال والدور الذى لعبه عصر مسيلم ملك كيش السامي في هذا التحول ٠ اذ يقول :

« واثبتت لنا الدلائل الوثائقية وما نستطيع ان نستقيه من الملاحظات ان مركز ثقل الحضارة تحول من أقصى الجنوب على الخليج العربي الى المنطقة التي تعلوه قليلا الى الشمال ، هي منطقة العاصمة بغداد الحالية ، اي تحوله من مدن أوروك وأريدو وأور الى مدينة كيش عاصمة الملك مسيلم ، التي تعتبر الام القديمة لمدينة بابل الشهيرة ، عاصمة الحقبة الكلاسيكية والتي انطلقت منها منذ ذلك الحين موجة عم بها العنصر السامي المنطقة ، ويعود الفضل في كل ما نعرفه بشكل ملموس عن هذا العصر في النواحي المادية والفكرية كليا الى المكتشفات الاثارية » ٠ « المصدر السابق ، ص ٤٤ » ٠

وهكذا فيكون الساميون في شمال وادي الرافدين قد دخلوا العراق من الجهة الشمالية الغربية ، ثم امتدت حشودهم جنوبا سالكين طريق الفرات حتى بلغوا مدينة كيش في بابل فتجمعوا فيها ٠ وتعد مدينة كيش من أقدم المدن التي ازدهرت في جنوب العراق ويؤكد الخبير الاثارى لانكدون الذي نقب في كيش مدة من الزمن قدم مدينة كيش وحضارتها فيقول :

« ومما لا جدال فيه ان العنصر السامي وجد في كيش منذ أقدم الازمنة حتى انتهى الامر أخيرا الى سيطرته التامة على جميع البلاد » ٠ ويضيف الى ذلك قوله : « ان مدينة كيش لم تكن أقدم

عاصمة لسومر حسب بل قبضت على زمام الامور في جميع البلاد اكثر من اية مدينة أخرى حتى ظهر على المسرح سرجون الاكدي فحول العاصمة من كيش الى اكد »[١] كما يؤكد الخبير « واتلين » الذي شارك لانكدون في حفريات كيش نظرية بدء حضارة وادي الرافدين من الشمال الغربي إذ يقول في الجزء الرابع من كتابه « حفريات كيش » : « إن أقدم أثر لاستيطان الانسان القديم لتربة كيش يتمثل بأدوات من حجر (المايكروليتيك) التي وجدت لاول مرة في هذا المكان • وهذه الصناعة انفردت بها المنطقة الشمالية من العراق ولم يعثر على اثر لها في الجنوب أي في منطقة أور السومرية ، وعلى هذا اعتقد ان وجود هذه الادوات في كيش يمثل صلة من مراحل نزوح سكان صحراء سورية (بادية الشام) في عصور ما قبل التاريخ من الشمال الى الجنوب اثر جدب تلك المنطقة ، ويبدو ان كيش تمثل أقصى الحدود الجنوبية للنازحين الساميين في تلك الازمان »[٢] هذا مع العلم ان الادوات المصنوعة من حجر (المايكروليتيك) ترجع الى العصر الوسيط (الميسوليتيك) الذي يرجع الى ما بعد العصر الجليدي الرابع أي بعد ١٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد • وقد وجدت آلاته ايضا في عدة مواقع أخرى في شمال العراق أشهرها « زاوي جيمي » على الزاب الاعلى بالقرب من شانيدر و « بالى كورا » و « ملفعات » و « كريم شهر » •

(١) S. Langdon "Excavations at Kish", Vol. I, 1924

(٢) L.C.H. Watelin, "Excavations at Kish" IV., 1934, P. 1.

وقد ذكرت ثلاثة مواقع نزح منها الساميون الى جنوبي العراق وهي : ١ - نزوحهم من الخليج العربي وجنوب جزيرة العرب عن طريق الخليج • ٢ - نزوحهم من شرقي جزيرة العرب • ٣ - نزوحهم من سورية عن طريق بادية الشام • وكل هذه المواقع منبعها البشري واحد وهو جزيرة العرب كما مر شرحه • وكان الكل يسعى للوصول من هذه المواقع الثلاثة الى جنوبي العراق حيث السهل الرسوبي الخصب والمياه الغرينية الدائمة ، فلا يعيقه عائق ولا يعترضه حائل ، فالمنطقة كلها مكشوفة من كل أطرافها تتصل بالبادية مباشرة مستبدلين بحياة صحاريهم القاحلة اراضي غرينية خصبة في جنوب وادي الرافدين • ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان التكوين الجيولوجي للقسم الاوسط والقسم الشمالي الغربي من هذه البلاد يشبه جيولوجية هضبة نجد وغربي سورية • كان هذا يجري في وادي الرافدين بينما نرى عكس ذلك كان يجري في وادي النيل حيث كانت حدود وادي النيل محصنة تحصينا طبيعياً يمنع كثرة الهجرات بسهولة • والاهم من كل ذلك ان الذين توجهوا نحو جنوب وادي الرافدين كانوا مزودين بحضارة قديمة اكتسبوها في وطنهم الاصلي جنوبي جزيرة العرب في العصر الجليدي الرابع الذي دام حوالي مائة الف عام • كانت البلاد تتمتع فيه بمناخ رطب تسوده الامطار الدائمة وتكثر فيه الانهر الجارية مما ساعد على تكوين أقدم حضارة نهرية أدت الى اكتشاف العرب لاول مرة في التاريخ البشري طريقة الزراعة التي تعتمد على الري •

٣ ـ العصر الحجري المعدني :

وقد كان العصر الحجري المعدني الذي حدد بين سنة ٥٦٠٠ قبل الميلاد و٣٥٠٠ قبل الميلاد حافزا للتطور الحضاري في المنطقة كلها ، لانه بدأ فيه استعمال معدن النحاس دون أن يحل محل الحجر كمادة أساسية في صنع الادوات ، إذ ظهرت في هذا العصر عدة مخترعات كانت طلائع لظهور الحضارة الناضجة في مطلع الالف الثالثة قبل الميلاد ، أهمها اتساع القرى الزراعيةالتي كانت قد ظهرت في العصر الحجري الحديث وازدياد الانتاج الزراعي وبداية استيطان السهول الرسوبية التي تعتمد في زراعتها على الري من الانهار فنشأت معه انظمة الحكم على هيئة دويلات المدن ، وظهرت الابنية العامة وفي مقدمتها المعابد(٣) .

٤ ـ انتشار الحضارة السامية في وادي الرافدين :

يتضح مما تقدم ان الساميين العرب اصبحوا منتشرين في هذا العصر في شمال وادي الرافدين وفي جنوبه بما فيه الخليج العربي ، فحضارتهم وثقافتهم واحدة في المناطق الثلاث ، هي الحضارة السامية العربية ، لان الاتصال بينها كان ميسورا لعدم وجود حاجز طبيعي يفصل بينها . وقد اثبتت أعمال التنقيب الارتباط الحضاري بين شمال وادي الرافدين وبين جنوبه بما فيه الخليج العربي .

---

(٣) طه باقر ، « مقدمة في تاريخ الادب العراقي القديم » ، ص ١٣ .

والمهم ان هذه الحضارة تواجدت في شمال وادي الرافدين وفي جنوبه بما فيه الخليج العربي في عصر واحد قبل اكتشاف التدوين والكتابة لانها تقع في العصور الحجرية اى في ما قبل التاريخ في حدود العصر الحجري المعدني (٥٦٠٠ـ٣٥٠٠ ق٠م)٠

وهذه الحقبة الحضارية بقسميها الشمالي والجنوبي تكون حضارة وادي الرافدين الاساسية قبل التعرف على ما يسمى بالحضارة السومرية في جنوبي وادي الرافدين بألفي سنة على اقل تقدير وقبل ظهور عصر الكتابة والتدوين ، وهي حضارة سامية عربية منبعها البشري والحضاري جزيرة العرب . وكانت هذه الحضارة تؤلف وحدة ثقافية متعاصرة متماسكة وثيقة الصلة بحضارة الساميين الغربيين في سورية وحضارة الساميين الشرقيين في العراق وحضارة الساميين العرب في الخليج العربي التي كانت تربط جنوب الرافدين بالشمال السوري .

٥ ـ المراكز الحضارية في العراق :

ومن أهم المواقع الاثارية التي ظهرت للوجود في جنوبي وادي الرافدين في هذه المرحلة الثالثة موضعا حسونة وسامراء وخفاجي وتل اسمر على نهر دجلة والعبيد واريدو والوركاء وجمدة نصر على نهر الفرات عدا كيش المدينة السامية الام وهذه تمثل حضارة جنوبي وادي الرافدين في العصر الحجري المعدني ، والاصح انها تمثل حضارة العراق الاساسية ، وفي ما يلي أزمان هذه المواقع حسب تسلسلها :

١ ـ دورا حسونة وسامراء	٦٠٠٠ـ٥٠٠٠ ق٠م٠
٢ ـ دورا العبيد واريدو	٥٠٠٠ـ٣٨٠٠ ق٠م٠
٣ ـ دور الوركاء	٣٨٠٠ـ٣٢٠٠ ق٠م٠
٤ ـ دور جمدة نصر	٣٢٠٠ـ٣٠٠٠ ق٠م٠
٥ ـ عصر مسيلم	نهاية عصور ما قبل التاريخ

والآن يسوقنا البحث الى عرض نبذة تاريخية عن كل من هذه الادوار :

أ ـ دور حسونة :

سمي دور حسونة نسبة الى تل معروف بهذا الاسم يقع على نحو ١٥ كيلو مترا من الضفة اليمنى لنهر دجلة وعلى مسافة ٣٥ كيلو مترا جنوبي الموصل في محافظة نينوى ، وقد عثر فيه على آثار قرية كبيرة من العصر الحجري الحديث يقدر تاريخها بنحو ٤٨٠٠ سنة قبل الميلاد وجدت فيها آثار متنوعة بينها أدوات من الحجر ومناجل من الصوان ودمى من الطين ، وأهم ما امتاز به عصر حسونة فخاره الذي يصنف الى أربعة أنواع وهو المدلوك والمجزز والمصبوغ والساذج[٤] ٠

وقد أجرت مديرية الآثار العراقية تنقيبات في تل حسونة اظهرت بقايا ست عشرة طبقة من أدوار السكنى ، ففي أسفل

(٤) حول التنقيبات في تل حسونة انظر :
Journal of Near Eastern Studies, IV (1945) 255ff.

طبقات التل وجدت آثار مستوطن زراعي من اواخر العصر الحجري الحديث ، الا انه لم يظهر فيه آثار بقايا بيوت مشيدة ، مما يدل على ان السكان كانوا يسكنون في الخيام ٠ وتنقسم الطبقات الى دورين ، دور ما قبل الفخار ثم الدور الذي تعلم فيه فلاحو ذلك العصر صنع الاواني الفخارية ٠ وفخار حسونة الذي عثر عليه في الطبقات العليا فخار مزين بحزوز وألوان ، ويتميز فخار حسونة الانموذجي بتقدم في صنع الفخار وزخرفته ، وقوام هذه الزخرفة خطوط مستقيمة وخطوط متصالبة ومتقاطعة ومثلثات ٠ وقد وجد هذا النوع من الفخار في مواضع أخرى منها تل الصوان في سامراء وفي الطبقات السفلى من نينوى[٥] وفي اوغاريت (رأس شمرة) بسورية ٠

ب ـ دور سامراء :

يقترن هذا الدور باللقى الاثارية التي عثر عليها في منطقة سامراء في التل المعروف بتل الصوان الواقع على الضفةالشرقية من نهر دجلة على بعد حوالي ١٢ كيلومتراً من جنوب بلدة سامراء الحالية والتي يمتد تاريخها الى فترة تبدأ من منتصف الالف السادسة قبل الميلاد وتنتهي في اوائل الالف الخامسة قبل الميلاد، وكان أول من لفت النظر الى هذا الموقع الخبير الاثاري هرزفلد

(٥) انظر :
Mallowan, "The Prehistoric Sondage at Nineveh (1931 - 1932) in the Annals of Archaeology and Anthropology xx (1933).

في سنة ١٩١١ م • ولهذا الموقع أهمية خاصة في كونه همزة وصل يصل الادوار الحضارية الشمالية بمثيلاتها الجنوبية • ويتميز دور سامراء هذا بخزفه المدهون الجميل المسمى بالسامري وهو نوع من صناعة الخزف المعروف في بلاد الفرس • وقد أجرت دائرة الآثار العراقية تنقيبات في هذا الموقع في موسم ١٩٦٤ فاسفرت عن عثورها على لقى كثيرة بينها أدوات من الحجر الاسود والصوان والعظام وأوان خزفية متنوعة الاشكال ودمى من الطين منها تماثيل للالهة الام • وقد عثر ايضا على مقابر عديدة تضم بقايا هياكل انسان ذلك العصر ، وكانت هذه الهياكل قد لفت بالقصب الناعم وسيّعت بالقار • **ومن اهم ما اظهرته هذه التنقيبات ان مسيرة الاستيطان كانت متواصلة غير منقطعة في خلال هذه الادوار**[٦]

وقد اسفرت نتائج التنقيبات التي اجريت في تل الصوان عن تسجيل خمس طبقات اثارية رئيسة ، ترجع الطبقات الثلاث السفلى منها الى أواخر العصر الحجري الحديث ثم طور حسونة القديم وبداية فخار حسونة الأنموذجي الذي يستمر الى الطبقة الرابعة ثم الخامسة مع فخار طور سامراء • ووجدت في الطبقة الاولى بقايا بيوت مشيدة من اللبن ، وهي على جانب كبير من التطور بالنسبة الى بيوت العصر الحجري الحديث السابقة للعصر الحجري المعدني• واعتمد سكان هذا المستوطن من اهل الطبقة الاولى في قوتهم على زراعة القمح والشعير كما وجدت بقايا نباتات أخرى اهمها

(٦) حول التنقيب في سامراء انظر :
Herzfeld, "Die Ausgrabungen Von Samarra, V (1930).

نبات الكبار (Caper) والكتان والقنب • ولما كان مثل هذه النباتات تحتاج الى الري الاصطناعي في هذه المنطقة فيمكن الاستنتاج ان سكان هذا المستوطن بدأوا ممارسة مشاريع الري الصغيرة •

ويرى بعض الباحثين ان ما يسمى بدور سامراء ليس في الواقع دورا حضاريا متميزا وانما هو نوع خاص من الفخار المنقوش والاجدر ان يلحق بدور حسونة باعتباره طورا من اطواره• ويتميز فخار سامراء بانه ذو لون واحد كما يمتاز كذلك بزخارفه الهندسية المرتبة في انطقة افقية ومتوازية وكذلك أشكال بعض الحيوانات مثل الطيور والاسماك والايل وكانت الحجارة المادة المعتمدة في صنع الادوات[٧] •

وقد وجد فخار سامراء المتميز في تل مطارة القريب من كركوك وتل شمشارة الواقع على الضفة اليمنى من نهر الزاب الصغير على بعد نحو ٨ كيلومترات جنوب شرقي رانية وتل حلف وتل جغار بازار في الجزيرة العليا وتل باغوز على الفرات مقابل البو كمال وفي تبه كورا الواقع على بعد نحو ١٥ ميلا شمال شرقي الموصل • والاربجية القريبة من الموصل وغيرها •

ج ـ آثار منطقة ديالى ـ دور خفاجي وتل أسمر :

ومن اشهر المواقع الاثرية الممثلة لحضارة عصر فجر السلالات تلك التي ازدهرت في منطقة ديالى :

(٧) طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، ص ٢١٤ ـ ٢١٧ •

١ – تل أسمر ، وهو موضع المدينة القديمة أشنونا عاصمة المملكة التي سميت بهذا الاسم أيضا ، كانت قد انشئت في المثلث المكون من الاراضي الخصبة ما بين نهر ديالى شرقا ودجلة غربا وسفوح مرتفعات زاغروس من الشرق تقع اطلالها على بعد نحو ٥٠ ميلا شمال شرقي بغداد • وقد كشفت التنقيبات في تل اسمر عن سلسلة من المعابد المهمة يرجع عدد منها الى عصر فجر السلالات ، ومن هذه المعابد معبد الاله « آبو » وقد وجد في هذا الموقع عدد من المنحوتات •

٢ – تل « خفاجي » ، ويقع على نحو ٧ أميال شرقي بغداد ونحو ١٢ ميلا جنوب شرقي تل اسمر ، وهو موضع المدينة القديمة المسماة « توتوب » (Tutub) تم الكشف فيها عن جملة معابد منها ما يرجع في عهده الى عصر فجر السلالات والبعض الآخر من العهد البابلي القديم • وقد وجد في هذا التل ثلاثة معابد مهمة هي المعبد البيضوي والمعبد المخصص لعبادة الاله « سين » اله القمر والمعبد الثالث المخصص للالهة « ننتو » ، كما وجدت مجموعات مهمة من ألواح الطين بعضها من العصر الاكدي والبعض الآخر من العهد البابلي القديم •

وقد مر معبد الاله « سين » بعشرة أدوار من البناء أقدم دور من دور جمدة نصر وآخر أدواره ترجع الى نهاية عصر فجر السلالات قبيل العصر الاكدي الذي تلاه • وكان اسم الاله « سين » السومري يعرف بـ « ننا » حيث عبد في جملة مراكز

أخرى أشهرها مدينة أور ومدينة حران • وقد عبد الاله « سين » في جنوب بلاد الجزيرة العربية وفي بلاد الحبشة وفي شمال البلاد العربية ، ذلك ما يدل على ان آثار « خفاجي » تعتبر سامية اولا لان المنطقة التي يقع فيها التل كائنة في المنطقة السامية هذا فضلا عن ان معبدين للاله سين السامي كانا في خفاجي •

وهناك موضع ثالث من التلول الاثرية في منطقة ديالى هو تل « اشجالي » يقع على بعد نحو ثلاثة اميال جنوب شرقي « خفاجي » وكان من بين ما كشف فيه معبدان احدهما لعبادة الالهة عشتار والثاني للاله « شمس » ، وقد استخرجت من هذا الموضع مجموعات من الواح الطين •

د – دور العبيد :

يسمى هذا الدور دور العبيد نسبة الى احد التلول الاثرية جنوبي العراق المعروف بـ « تل العبيد » ، والعبيد تصغير عبد والتل قريب من أور على بعد نحو اربعة اميال منها الى الغرب من بلدة الناصرية قرب اريدو (ابو شهرين) ، وقد عين البعض تاريخ بدء عصر العبيد في حدود سنة ٥٠٠٠ ق•م بينما عينه البعض الاخر في حدود سنة ٤٥٠٠ ق•م• اما تاريخ انتهائه فقد حدده العلماء بسنة ٣٨٠٠ ق•م •

ويمتاز عصر العبيد بفخاره المتسم بشدة حرقه وصلابته فيكاد يكون طينيا منصهرا وهو مزين برسوم غليظة مرسومة بصبغ اسود • وقد وجدت آثار عصر العبيد في مواقع اخرى متفرقة

غير تل العبيد العراقي وقد قضى فن اهل العبيد الخزفي على خزف تل حلف وحل محله • وتمثل آثار هذا الدور احد العصور الثقافية الاساسية في الدلتا في جنوبي العراق التي اقرها مؤتمر الاركيولوجيين سنة ١٩٣١ في ليدن وهي التي سبقت بداية العصور التاريخية وتمثل حضارة العبيد اقدم أطوار فجر الحضارة في العراق الجنوبي ، وقد انتشرت في جميع أنحاء العراق ، شماله ووسطه وجنوبه ، اما في الجنوب فاهم مواقعها ، اريدو (ابو شهرين) واور ولجش وقلعة الحاج محمد والوركاء ، ويمثلها في الشمال ما عثر عليه من آثار في تبه كورا[٨] قرب الموصل ونوزي قرب كركوك وتل حسونة ونينوى وهو ما يطلق عليه اسم « العبيد الشمالي » لتمييزه عن العبيد الجنوبي[٩] • وقد اثبتت الدراسة المقارنة لحضارات العبيد الشمالية والجنوبية وجود تشابه واختلاف بين نماذج هاتين الحضارتين ولكنهما ينتميان أصلا الى حضارة واحدة، سرعان ما تأثرت بالبيئة المحيطة بها فاعطتها شكلها المعين[١٠] •

وهناك من الباحثين من يرى ان حضارة العبيد ليست تطورا لغيرها من الحضارات السابقة ، وانما هي حضارة مستوردة من

---

(٨) انظر :
A. J. Tobler, "Excavations at Teppe Gawra" 1950

(٩) عن دور العبيد انظر : طه باقر «مقدمة في الحضارات القديمة » ص٢٢١–٢٢٣ ، ٢٢٥–٢٢٨ • انظر ايضا :
Hall and Woolley, "All Ubaid", 1927.

(١٠) يرجع فخار العبيد الى الفترة المحصورة بين الالف الخامسة وأوائل الالف الرابعة • انظر : سومر (م٤ ، ج١ ، كانون الثاني ١٩٤٨ ، ص٢٢) •

الهضبة الايرانية ، جاء اصحابها من جنوب غرب ايران في أوائل الالف الرابعة قبل الميلاد ، او قبلها بقليل بينما يذهب آخرون الى انها من المنطقة الشمالية (بلاد الآشوريين فيما بعد) ، على ان هناك رأيا حديثا يتجه بها الى الجنوب (شرق جزيرة العرب) ، وانها ليست دخيلة على المنطقة ، وانما نشأت من جراء تطور طبيعي سبقته مراحل عديدة خلال العصر الحجري الحديث[١١] •

نحن نرى بل نعتقد ان حضارة العبيد انحدرت من شمال وادي الرافدين جاء بها الساميون الغربيون من سورية عن طريق البادية الى جنوب العراق ، وهم بطبيعة الحال عرب منبعهم الاصلي جزيرة العرب ، ومهما كان الامر فسواء جاءوا من شمال وادي الرافدين أم من شرقي جزيرة العرب كما يرى دكتور عبدالله مصري[١٢] ففي كلتا الحالتين هم ساميون عرب •

وتتميز حضارة العبيد في كونها ام الحضارات بل هي حضارة العراق الاساسية بدليل ان جميع المدن السومرية التي ازدهرت في ما بعد في عصر فجر السلالات شيدت فوق أطلال سكنى حضارة العبيد مما يدل على ان هناك شعبا ذا حضارة عبيدية سبق السومريين في الاستيطان في جنوب العراق • فيقول في ذلك الاستاذ طه باقر ما نصه :

---

(١١) دكتور محمد مهران « دراسات في تاريخ العرب القديم » ، الرياض ١٩٧٧ ص٢٠٥ •

(١٢) دكتور عبدالله حسن مصري «آثار شرق جزيرة العرب ودورها في نشوء حضارة سومر » مجلة الدارة ، العدد الاول ، الرياض (١٩٧٦) ص٦٦–٧٥ •

« ويمكن القول انه في الاجزاء الوسطى والجنوبية من العراق قامت المدن التاريخية المشهورة فوق بقايا قرى من دور العبيد كما تشير الى ذلك التحريات الاثارية التي تمت في مثل هذه المدن ، نخص بالذكر منها اور واريدو ولجش ونفر والوركاء وغيرها بالاضافة الى المواضع الكثيرة التي سجل المسح الاثري فيها وجود فخار دور العبيد ومثل ذلك يقال بالنسبة الى المواقع الاثارية الكثيرة في شمالي العراق »[١٣] ٠

يلاحظ هنا ان وسائل التمدن انتقلت في هذا الدور من شمال وادي الرافدين الى جنوب وادي الرافدين وبخاصة الى ضفاف نهر الفرات حيث اسس الساميون مستوطناتهم الزراعية المرتكزة على الري الاصطناعي وهو عماد ازدهار حضارتهم ، وقد امتدت هذه المستوطنات على طول ضفاف نهر الفرات في سورية وفي العراق واقيمت تنظيمات ري كان لها الاثر البارز في تقدم الحضارة في مختلف الحقول والميادين ، وهكذا فقد أصبحت حضارة العبيد هذه من اهم مقومات الحضارة في الادوار التاريخية التى قامت في اعقاب العصور الحجرية ٠

١ ـ آثار حضارة العبيد في جزيرة العرب :

وقد دلت التحريات الاثارية التي اجريت في المملكة العربية السعودية في جزيرة العرب « على اكتشاف اثار العبيد في شمال

(١٣) طه باقر ، « مقدمة في حضارات العراق القديمة » ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ٠

شرق الجزيرة العربية في أكثر من ثلاثين موقعا ، تنتمي الى حضارة العبيد وتتوزع هذه المناطق على مساحة واسعة داخل المنطقة الشرقية وكذا على الساحل ، وقد وجدت هذه الآثار في العروض[١٤] ٠ وقد اتفقت جميعا في ان الفخار الملون وكذا الادوات التي عثر عليها تتشابه مع مثيلاتها في منطقة العبيد »[١٥] ٠

« وقد ادى ذلك كله الى ان يفترض الدكتور المصري وجود علاقات بين سكان شرق الجزيرة العربية وسكان جنوب العراق من اولئك الذين كانوا يحترفون الصيد وجمع الغذاء ، وان مجموعات بشرية من شرق الجزيرة العربية قد هاجرت الى السهل الرسوبي القريب منهم ، وبذلك ساهمت في خلق نوع من التفاعل الثقافي،ومن ثم فقد كان هناك تبادل بين جنوب العراق وشمال شرق الجزيرة العربية في الادوات الحجرية والمنتجات البحرية ابان عصر العبيد ، وربما ادى هذا التبادل الى هجرات دورية من جانب الرعاة والصيادين أو جامعي الغذاء ، وان التطور الاقتصادي في كل من المنطقتين (الصيد وجمع الغذاء وصيد الاسماك في شرق الجزيرة

(١٤) تشتمل العروض على اليمامة والبحرين وما والاهما وسميت عروضا لانها تعترض بين اليمن ونجد والعراق ٠

(١٥) انظر : دكتور محمد مهران ، « دراسات في تاريخ العرب القديم » الرياض ١٩٧٧ ، ص٢٠٥ـ٢٠٦ نقلا عن :
A. H. Masry, "Prehistory in North Eastern Arabia", Miami, Florida, 1974, PP. 1-11.

العربية والزراعة في جنوبي العراق) • قد ساعد على عملية التبادل المادي والحضاري بين الناحيتين[١٦] •

« اما في شمال شبه الجزيرة العربية ، فقد عثر في « كلوة » عند سفح جبل الطبيق ، على آثار رأى بعض الباحثين انها ترجع الى آلاف السنين قبل الميلاد ، وان تاريخ الاستيطان بها ، انما يرجع الى الالف الثامنة قبل الميلاد »[١٧] •

« واما في وسط شبه الجزيرة ، فقد عثر في مواضع مختلفة من المملكة العربية السعودية – تمتد من الاحساء شرقا الى الحجاز غربا ، ومن مدائن صالح كما في الدوادمي – تقع على الطريق بين مكة والرياض وعلى بعد ٣٣٦ كيلومترا – على ادوات حجرية من بينها فأس يميل لونها الى الخضرة • وكما في تل (الهبر) ، اذ كان الصيادون في عصور ما قبل التاريخ ينتقلون باتجاه الاودية من مكان الى آخر ، وقد ترك الصيادون – ثم الرعاة من بعدهم – بعض الآثار في الأماكن التي حلوا بها حينا من الدهر ، وما برح السياح ، وخبراء شركة « ارامكو » وغيرهم يعثرون على بعض منها ، بين الحين والآخر »[١٨] •

---

(١٦) A. H. Masri, op. cit., P. 16.
انظر ايضا : عبدالله مصري « اثار شرق الجزيرة العربية ودورها في نشوء حضارة سومر » مجلة الدارة ، العدد الاول ، الرياض (١٩٧٦) ص ٦٩–٧٠ •

(١٧) جواد علي ، « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ١/٥٣٢ •

(١٨) دكتور محمد مهران ، مصدر سابق ، ص ٢٠١ •

وقد عثر جون فيلبي وبعض رجال شركة النفط العربية السعودية والبرت جام وبعثة جامعة الرياض على كتابات ونقوش في موضع « قرية الفاو » على بعد ١٢٠ كيلومترا من نجران مكتوبة باللهجات العربية الجنوبية وترجع الى ما قبل الميلاد[١٩] •

٢ – آثار حضارة العبيد في الخليج العربي :

وقد دلت التحريات الاثارية التي اجرتها البعثات الدنيماركية والفرنسية في الخليج العربي على وجود الفخار العبيدي الملون في أكثر من أربعين مستوطنا في سواحل الخليج وداخله فعين تاريخ هذه المواقع في حدود سنة ٤٠٠٠ ق•م[٢٠] • وقد سبق ان اشرنا الى أن حضارة العبيد وجدت كذلك في كل انحاء العراق شماله ووسطه وجنوبه ، كما وجدت في شمال وادي الرافدين (في سورية) • كل ذلك يدل على انتشار حضارة العبيد في كل الوطن العربي السامي ، الأمر الذي يشير الى تكوين وحدة حضارية سامية تشترك بين كل هذه المواقع تتصل اتصالا مباشرا بجزيرة العرب من كل الأطراف ، وهذا ما يؤكد الأسس المشتركة حضاريا وتاريخيا بين العراق والخليج العربي •

وفي ذلك يقول الاستاذ رضا جواد الهاشمي حول المستوطنات العبيدية في الخليج العربي وصلتها بوادي الرافدين في

---

(١٩) المرجع السابق ، ص ١٠٤ •

(٢٠) رضا جواد الهاشمي ، « وحدة العناصر الحضارية في الخليج العربي في ضوء المكتشفات الاثرية » ، مجلة بين النهرين ، العدد ٢٧ (١٩٧٩) ، ص٢٤٧–٢٧٣ •

جنوب العراق ما نصه(٢١) : « عاش الخليجيون ظروفاً حياتية أملت واقعا اقتصاديا كان له الأثر الكبير في خلق عناصر الوحدة الحضارية التي جمعتهم على مر العصور ، وبسبب موقع الخليج العربي الذي يمثل الامتداد الجنوبي لسهل بلاد وادي الرافدين ، ولأنه ينفتح على الجزيرة دون معوقات طبيعية ، نلحظ بالضرورة اشتراك الخليج العربي في كثير من مقومات حضارته مع بلاد وادي الرافدين وأقسام واسعة من شرق الجزيرة العربية » •

« وكان الخليج العربي ولا يزال منفذاً رئيساً للاتصال الخارجي بالنسبة لبلاد وادي الرافدين والأقسام الشرقية لجزيرة العرب ، كما كان ولا يزال مصدراً رئيساً للمنتجات البحرية من أسماك وأصداف ولؤلؤ بالنسبة للمنطقتين • وان شواطئه الغربية المتعرجة الكثيرة الخلجان ، وضحالة المياه عندها ، مع توفر مصادر المياه العذبة في سواحله وبعض جزره تسبب في ظهور النشاطات البحرية وازدهارها منذ أقدم الفترات التاريخية • كذلك كانت الأوضاع المناخية والبيئية في صورة مغايرة لما عليه الخليج العربي في الوقت الراهن ، لذلك تهيأت فرص النماء والتطور أمام سكان الخليج العربي القدماء » •

« ان مجمل هذه الملاحظات خلقت بالضرورة عناصر الوحدة الحضارية في منطقة الخليج العربي فيعصوره القديمة ، تلك العناصر التي تؤكد يوما بعد آخر مزيداً من الاستكشاف والتنقيب الاثاريين

(٢١) مجلة بين النهرين ، العدد ٢٧ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٤٧–٢٦٩ •

وما تقدمه هذه الأعمال من مخلفات ومواد ولقى آثارية توضح الأسس المشتركة لعناصر الحياة بين سكنة الخليج العربي القدماء وبين سكان بلاد وادي الرافدين » •

هـ ـ حضارة أريدو السامية :

وقد دلت التحريات الآثارية التي اجرتها مديرية الاثار العراقية بين سنة ١٩٤٦ و١٩٤٩ على ان أريدو كانت أقدم مواضع الاستيطان في السهل الرسوبي الجنوبي إذ كشفت هذه التنقيبات عن بقايا تسع عشرة طبقة اثرية أو دور سكنى وجد فيها نوع جديد من الفخار تحت الطبقات التي وجد فيها فخار العبيد ، أي ان فخار « اريدو » الجديد اقدم زمنا من فخار العبيد ، فعدّ هذا الفخار الجديد دورا جديدا من ادوار ما قبل التارخ واقدم عهود الاستيطان في جنوبي العراق ، أي « دور اريدو » وبعد دراسات وبحوث عن الموضوع صار معظم الباحثين يميل الى عد ما كان يسمى « دور اريدو » طورا قديما من اطوار دور العبيد في جنوبي العراق •

وتعتبر اريدو اقدم مدينة في سومر معبدها المؤسس للاله ايا كان اقدس هيكل في الجنوبوقد جاء في اثبات الملوك السومريين ما يؤيد قدم مدينة اريدو فروت ان اريدو كانت مركز الملوكية التي هبطت من السماء وكان أول ملك حكم فيها قبل الطوفان يحمل اسماً سامياً هو « ايلولم » حكم ٢٨٠٠٠ سنة وحكم بعده « الكار » ٣٦٠٠٠ سنة المجموع ملكان حكما ٦٤٨٠٠ سنة •

وتشير الاسطورة السومرية للخليفة : « ان البقاع جميعها كانت بحراً ثم خلقت اريدو » •

(All the lands were sea, then Eridu was made)

التنقيبات في اريدو :

كان أول المنقبين ممن حفروا في اريدو (لوفتس) سنة ١٨٥٢ ، ثم عقبه (تايلر) سنة ١٨٥٥ و (كامبل تومسون) سنة ١٩١٨ والدكتور (هول) من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢٠ • وقد قامت مديرية الاثار بالتنقيب في اريدو في خلال ثلاثة مواسم : الموسم الأول في سنة ١٩٤٦ – ١٩٤٧ (كانون الاول ١٩٤٦ – آذار ١٩٤٧) ، والموسم الثاني في سنة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ (تشرين الاول ١٩٤٧ حتى منتصف آذار ١٩٤٨) ، والثالث في سنة ١٩٤٨–١٩٤٩ (اواخر تشرين الثاني ١٩٤٨ حتى منتصف آذار ١٩٤٩) •

وكان الموسم الثاني حافلا باهم انتاج المواسم الثلاثة فاستظهرت خلاله في حارة المعابد الواقعة عند الزاوية الجنوبية للبرج القائم داخل المدينة احدى عشر طبقة اثرية كانت فيها بقايا سبعة معابد من عصور ما قبل التاريخ وكان اقدم المعابد يعود لاول قوم معروفين سكنوا جنوبي العراق في السهل الرسوبي •

ونتج من عمليات التنقيب في هذا الموسم الثاني الاكتشافات الاتية :

١ • كانت الفكرة الغالبة بين المحافل العلمية منذ سنة ١٩٢٤ ان اولى الاقوام الذين سكنوا جنوبي العراق سكنوا في اكواخ

من القصب وعاشوا على صيد الاسماك والطيور في حياة بدائية • وقد دعا المنقبون زمنهم بعصر العبيد نسبة الى تل العبيد القريب من اور حيث استكشفت اثارهم اول مرة ، غير ان الاثار التي كشفت عنها مديرية الاثار في اريدو من العصر ذاته برهنت على ان اولئك الاقوام كانت لهم مدنية ومعتقدات ونظام مجتمع اذ وجدت لهم معابد منتظمة الشكل ودور سكنى مشيدة باللبن •

٢ • وكشف في اريدو عن حضارة جديدة سبقت حضارة عصر العبيد دعتها مديرية الاثار باسم حضارة اريدو لما لها من مميزات خاصة بها ملحوظة بشكل الاواني واصباغها ونقوشها وفي اللبن وحجومه •

٣ • كشف جوار التل الرئيسي عن مقبرة واسعة من عصر العبيد تتألف من نحو الف قبر كان فيها بهيئة صندوق من اللبن وضع داخله الميت والاواني والطعام اللازمة لانتقاله الى ما بعد الممات • وقد قام الدكتور (كون) احد مشاهير علماء الانثرويولوجيا بدراسة الهياكل العظمية المنقولة من مقبرة اريدو التي ترجع الى ما قبل الالف الرابعة ق•م فدلت دراسته هذه على ان سكان العبيد واريدو الذين يمثلون اول من استوطن جنوبي العراق هم من اجناس البحر الابيض المتوسط الذين منهم الساميون العرب الذين نزحوا من جزيرة العرب •

(انظر : سومر م٥ ، ج١ ، ١٩٤٩ القسم الانكليزي ، ص ١٠٣ – ١٠٤ ، القسم العربي من الجزء نفسه ، ص ١٦٠ ، انظر ايضا : سومر م ٤ ، ج ٢ ١٩٤٨ ، (القسم العربي ص ٢٧٦ – ٢٩٤) القسم الانكليزي ١١٥ – ١٢٧) وجـاء في التقرير لسنة ١٩٤٩ – ١٩٥٠ لسير المعارف العنوان الاتي : عن تنقيبات موسم ١٩٤٨ – ١٩٤٩ في اريدو .

٤ – التنقيب :

« أ – مدينة اريدو – بدأت اعمال التنقيب للموسم الثالث في اريدو في اواخر تشرين الثاني ١٩٤٨ واستمرت حتى منتصف آذار ١٩٤٩ ، وقد سبرت طبقات التل الرئيسي للمدينة المعروف بتل ابي شهرين في نقطة متوسطة كشف فيها عن عشر طبقات بنائية شهد فيها تطور البناء في عصر العبيد من اكواخ مشيدة بالقصب والطين الى دور مشيدة باللبن يتوسطها شارع . ووجد في هذه الابنية الادوات التي كان يستعملها سكانها في حياتهم اليومية .

« ويشمل التنقيب تلا كبيرا آخر على بعد كيلومتر واحد من ابي شهرين كشف فيه عن بقايا قصرين واسعين متشابهين في التصميم شكلهما مستطيل أبعاده (٨٠ ، ٥٠ مترا) وقد شيدا في العهود الاولى في نحو ٢٧٠٠ سنة ق.م. ولكل منهما من الخارج جداران سميكان ، بينهما ممر ضيق لحماية القصب من الرمال السافية التي

اشتهرت بها منطقة اريدو » . وبنهاية هذا الموسم انتهى التنقيب في اريدو .

(انظر : سومر م ٥ ، ج ٢ ، ١٩٤٩ ، ص ١٥٩ – ١٦٨ ، انظر ايضا : سومر القسم العربي م ٣ ، ج ٢ ، ١٩٤٧ ، ص ٢١٩ – ٢٣٥ ، القسم الانكليزي من العدد نفسه ، ص ٨٤–١١١ ، انظر ايضا : « ترتيلة اريدو » ، سومر م ٧ (١٩٥١) ، ج ٢ ، ص ١٨٥–١٩٨) .

ولابد من الاشارة في هذا الصدد ان آثار اريدو هذه التي تعود الى عصور ما قبل التاريخ تعتبر آثارا سامية وهي غير اريدو السومرية التي تعود الى عصر فجر السلالات كما ان آثار الوركاء التي تعود الى عصر ما قبل التاريخ تعتبر سامية ايضا وهي غير وركاء السومرية التي تعود الى عصر فجر السلالات ما بعد الالف الثالثة قبل الميلاد .

اسد اريدو :

اكتشف هذا الاسد اول مرة (تايلر) في اثناء تنقيباته التي اجراها في اريدو سنة ١٨٥٥ ولصعوبة نقله آنذاك طمره في موضع اشار اليه في خريطته عن اريدو . ولما نقبت مديرية الآثار العراقية في اريدو شتاء ١٩٤٧ عثرت على هذا الاسد بعد تعيين موقعه على ما جاء في خريطة (تايلر) لاريدو ، فنقلته الى المتحف العراقي ، وكان الاسد ظاهرا فوق سطح الارض .

ان اسد اريدو تمثال عظيم له قيمتـه مصنوع من حجر البازلت الصلب جالس على عجزه وقدماه الاماميتان لصق جسمه ورأسه جميل ، قد اعتنى بتفاصيله وتناسب اعضائه اعتناءا فائقـا اكثر من الجسم ورسم ذنبه قائما على جنبه الايمن وهو اشبـه بالاسود المصنوعة من الفخار التي اكتشفت عند مدخل المعبد في تل حرمل . وطول هذا التمثال متر ونصف متر وعرضه نحو ٦٠ سنتمترا ويزيد وزنه على الطن الواحد . ويغلب على الظن ان الحجر الذي اقتطعت منه تقع في محل ما في بادية الشام . اما زمنه فقد رجح البعض انه نحت في عهد الملك بورسن ابن اورنمو ومعنى ذلك انه يعود الى عصر متأخر أي الى العصر السومري الحديث او عصـر الانبعاث السومري (٢٢٨٠ – ٢٠٠٣ ق.م) وعلى هـذا الاساس اعتبر المتحف العراقي اسد اريدو يعود الى العهد السومري (انظر التصوير رقم ٢٣ في كنوز المتحف العراق ١٩٧٢ ، ص ١٧٩) غير ان وجود الآجر الذي يحمل اسم بورسن ليس دليلا على ان الاسد نحت في زمنه ، فقد يكون الآجر الذي يحمل اسم بورسن استعمل في تشييد ابنية اريدو . ثم اننا نعلم بان عصر اريدو فيما قبل التاريخ شهد اعمالا فنية تدل على ازدهار حضارة راقية في ذلك العصر مثل الاناء النذرى ورأس الفتاة اللذين عثر عليهما في الوركاء (وركاء ما قبل التاريخ) وغيرهما من الاثار الفنية الخزفية من عصر ما قبل التاريخ . في كل هذا دليل على ان اسد اريدو يرجع الى حضارة عصر اريدو قبل تواجد السـومريين في جنوب العراق (أنظر : « اسد اريدو » بقلم اكرم شكري ، سومر القسم العربي م ٤ ،

ج ١ ، كانون الثاني ١٩٤٨ ، ص ٨١ – ٨٥ ، القسم الانكليزي من سومر ، م ٣ ، ج ٢ ، (١٩٤٧ ص ١١٠ – ١١١) .

وقد وجد نوع آخر من الفخار غير فخار اريدو سمته بعثة التنقيبات الالمانية في الوركاء في عام ١٩٣٥ – ١٩٣٧ فخار الحاج محمد « نسبة الى الموضع على ضفة الفرات بالقرب من الوركاء . وقد وجد فخار الحاج محمد » هـذا في اريدو في طبقات اثرية تقع فوق طبقات فخار اريدو وتحت فخار طبقات العبيـد . ثم اكتشف في عام ١٩٦٠ في الموضع المسمى « راس العمية » بالقرب من كيش السامية نوع رابع من الفخار شبيه بفخار الحاج محمد وعدّ مشتقا منه . كما وجد في موقع « العقير » على بعـد نحو خمسين ميلا جنوبي بغداد في ما بين النهرين قرية من دور العبيد (دور العبيد الثالث والرابع) وقد شيدت بيوت هـذه القرية العبيدية من اللبن واستعمل فلاحوها المناجل والفؤوس المصنوعة من الفخار المشوى كما استعملوا الحجارة الطبيعية في صنع ادواتهم الزراعية .

وقد قسم العلماء دور العبيد الى الاطوار الاربعة التالية :

١ – العبيد الاول = طور اريدو في الطبقات السفلى ١٩ – ١٢ .

٢ – العبيد الثاني = طور فخار الحاج محمد ورأس العمية .

٣ – العبيد الثالث = ما كان يسمى سابقا دور العبيد القديم .

٤ – العبيد الرابع = ما كان يسمى سابقا دور العبيد المتأخر .

ويعاصر العبيد الاول والعبيد الثاني دور حلف سورية ، ويتوافق دور حلف ودورا العبيد الاول والعبيد الثاني مع العصر الحجري المعدني الوسيط .

وهكذا فيكون اقدم دور من ادوار العبيد الجنوبي في العراق هو دور مدينة اريدو القديمة الواقعة نحو ٢٥ كيلو مترا جنوب غربي اور وعلى بعد حوالي ٤٠ كيلو مترا من جنوب غربي مدينة الناصرية الحالية . وتعرف اطلالها اليوم باسم « تلول ابي شهرين » وصفها السومريون بعد اكتشاف التدوين والكتابة بانها اقدم مدائن بلاد سومر (أولى المدن الخمس التي حكمت قبل الطوفان) . غير ان هناك رواية تشير الى ان مدينة نفر (نيبور) قد سبقت اريدو في الوجود . وتقع مدينة اريدو الان في شبه صحراء رملية بيد انها لم تكن كذلك في العصور القديمة اذ تشير الادلة الاثارية الى ان مجرى نهر الفرات القديم أو فرعا منه يرويها من بعد مروره بمدينة اور القريبة من اريدو .

وقد كشف في اريدو عن حضارة قديمة من عهد ما قبل التاريخ فعثر بين خرائبها على بقايا سبعة معابد من عصور ما قبل التاريخ واقدم هذه المعابد يعود لأول قوم سكن جنوبي العراق ، كما كشف في جوار اريدو عن مقبرة واسعة من عصر ما قبل التاريخ ايضا تتألف من نحو ألف قبر كل منها بهيئة صندوق من الفخار وضع داخله الميت والاواني والطعام لتموينة بها بعد المماة . واشتهرت مدينة اريدو في تاريخ حضارة وادي الرافدين ومآثرها الدينية بكونها مركز عبادة الآله « انكى » بالسومرية (ايا بالسامية)

آله المياه وآله الحكمة والمعرفة الذي اشتهر في العقائد الدينية القديمة وفي الاداب والاساطير . وابرز ما يشاهد الان من بقايا المدينة البرج المدرج (الزقورة) التي كانت تجرى عليها الطقوس الدينية . وقد كشفت التنقيبات التي اجرتها مديرية الآثار العراقية في اريدو سنة ١٩٤٦ - ١٩٤٩ ايضا عن قصر كبير مشيد على غرار ابنية ذلك العصر باللبن ، ويتألف من بنايتين متكاملتين احداهما لصق على الاخرى . وقد سوّر القصر بجدارين محصنين ، وعثر في هذا القصر على تمثال صغير من حجر الرخام الجميل يمثل رجلا طعمت عيناه بحجر اللازورد ، ويستدل من طراز النحت على انه يرجع في زمنه الى عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠-٢٣٧٠ ق.م.) ويرجح ان قصر اريدو هذا كان معاصرا لقصر كيش وان كليهما من اواخر عصر فجر السلالات الثاني (٢٨٠٠ - ٢٦٠٠ ق.م.) واوائل الطور الثالث من هذا العصر[٢٢] .

و - حضارة الوركاء :

يرجع زمن هذا الدور الى الحقبة الممتدة من سنة ٣٨٠٠ ق.م. الى سنة ٣٥٠٠ ق.م. او الى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد في رأي البعض، واطلال الوركاء التي ينسب اليها هذا الدور تقع على مسافة ٣٠ كيلو مترا شرقي السماوة وعلى بعد ١٢ كيلو مترا شمال شرقي قرية الخضر ولم تزل بقايا الوركاء شاخصة للعيان، وهي من اكبر المدن الاثرية

(٢٢) عن أريدو انظر : طه باقر ، « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، ص ٢٢٣-٢٢٥ ، ٢٦٨-٢٦٩ ؛ سومر م٣ (١٩٤٧) و م٤ (١٩٤٨) و م٦ (١٩٥٠) .

في جنوب العراق وأقدمها كانت تقع على الضفة الغربية من عقيق الفرات القديم ، ثم ابتعد عنها النهر فهجرت • وكانت هذه المدينة وأسمها « اوروك » من المدن المقدسة لانها كانت مقر عبادة اله السماء « آنو » والالهة « انانا » ملكة السماء وحامية المدينة ، وقد ورد ذكر مدينة الوركاء في التوراة باسم « ايرخ » وذكر الطبرى ان ابراهيم الخليل (ع) ولد في الوركاء ، بناحيـــة الزوابى وحدود كسكر •

وقد اشتهر دور الوركاء بالفخـــار الخاص به ، وهو فخار مدلوك أحمر اللون أو رمادي ، كما امتاز القسم الأخير من هذا الدور بنضج الحضارة وتقدم الحيـــاة الاجتماعيـــة والدينيـــة والاقتصادية • وقد ظهرت في دور الوركاء هذا لأول مرة الاختام الاســـطوانية (Cylinder Seals) كما ظهر لأول مرة استعمال دولاب الخزاف لصنع الأواني الفخارية ، وانتشر استعمال المعادن وتطورت القرى الكبيرة من العهود السابقة فصارت نواة لظهور نظام دولة المدينة (City State) وظهور الحياة الحضارية المدنية (Urbanization) [٢٣] •

ويتجه البحث الحديث في عصور ما قبل التاريخ الى تقسيم دور الوركاء والفخار الخاص بها الى ثلاثة أطوار هي :

أ ـ طور الوركاء ، ب ـ طور الوركاء الوسيط ج ـ طور

(٢٣) عن دور الوركاء انظر : طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ـ ٢٤١ •

الوركاء الأخير فطور الوركاء القديم تمثله الطبقات (١٢ ـ ٧) ، ثم الطور الوسيط وتمثله الطبقتان (٧ ـ ٦) ، اما الطور الأخير فتمثله الطبقتان (٥ ـ ٤) • وقد جعل هذا الدور الاخير أول أطوار العصر الشبيه بالكتـــابي (بروتوليترايت) (٣٥٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق٠م •)[٢٤] •

ومن مقومات حضارة الوركاء ظهور بوادر الكتابة في هـذا الدور ، وقد كانت على هيئة صور استعملت لتســجيل واردات المعابد • فكانت هذه الصور بسيطة ترسم برأس قصبة على الطين الرطب ثم يجفف اللبن في الشمس أو يطبخ حتى يصير آجرا • وقد عد علماء الآثار الطور الاخير من الوركاء (الطبقة الرابعة) الطور الذي ظهرت فيه الكتابة التصويرية • وقد اعتبرت هذه الحقبـــة الحضارية ذات أهمية خاصة أطلقوا عليها تسمية عصر بدء الكتابة بروتوليتـــرايت (Proto-Literate) • وفي هذا الدور طرأ تبدل في اتجاه كتابة العلامات المسمارية ، فبعد ان كانت تكتب الاسطر من الاعلى الى الاسفل صـــارت تكتب افقيا من اليسار الى اليمين •

وقد وجدت آثار ومبان من هذا الدور على مستوى عال من الرقي كالقصور والمعابد منها أول نموذج للزقورة (الصرح المدرج) الذي صار السومريون في العصور التاريخية يقيمون على قمتـــه أقدس شعائرهم الدينية • وقد عثر على مثل هذه المعابد من عصر

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ •

الوركاء بين اطلال العقير سنة ١٩٤٠ • وقد انتشر فن النحت في هذا الدور فنقشت ألواح من الحجر وصنعت الأختام الاسطوانية بكثرة وقد زينت واجهات المعابد بالفسيفساء المتكونة من مسامير ملونة من الفخار وبنقوش مصبوغة منها معبد « آنو » في الوركاء ومعبد العقير •

ومع ان آثار الوركاء من مبان وقصور ومعابد وأسوار ترجع الى الألف الرابعة قبل الميلاد ، غير أن هناك ما يؤكد ان مثل هذه المباني والمستوطنات وجدت آثارها في أماكن أخرى في الشرق الأدنى وهي تعود الى ما قبل عصر الوركاء • ففي ذلك يقول الاستاذ محمد خياطة مدير آثار حلب : « ان اقدم وثيقة خطية مكتوبة نعرفها عثر عليها في مدينة أوروك وتعود بتاريخها الى مستهل ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، أي فجر النهضة السومرية • ولكن هذا لا يعني أنه لم تكن هناك مستوطنات منظمة تشكلت قبل هذا الوقت بزمن طويل ، ففي الألف السابعة قبل الميلاد رأينا نشوء قرى شبه منظمة في (المريبط) و (اوغاريت) و (ابى هريرة) و (جبيل) ولكن اقرب هذه المستوطنات الى ما نسميه اليوم المدينة هو مدينة أريحا وسورها الدفاعي الضخم وقد تم ذلك قبل ان يغمر وادي الرافدين (أي قبل الطوفان) وقبل ان تزداد الكثافة السكانية ضمن المنطقة المسماة بالهلال الخصيب وفيما بعد ، أي في الالف الخامسة قبل الميلاد عندما بدىء باستثمار الزراعة فيحوض الرافدين وتطورت بعض القرى السكنية الى مدن مركزية » ••[٢٥] وفيما يخص معبد

(٢٥) مجلة بين النهرين ، العدد ٢٦ (١٩٧٩) ، ص ١٢٦ •

الوركاء يضيف الاستاذ خياطة قوله • « لم يكن نموذج أوروك مقتصرا على جنوب بلاد الرافدين فقط بل امتد ليشمل مناطق واسعة في شمال الرافدين وسورية ، فقد كشفت الحفريات الأخيرة في منطقة غمر سد الفرات عدداً من نماذج هذا المعبد في تل قناص وجبل عرودة على الضفة الغربية (الشامية) من نهر الفرات وقد استخدم سكان حبوبة الكبيرة الجنوبية نموذج معبد اوروك في بناء سكناهم الخاص (حبوبة الكبيرة هي امتداد لتل قناص) ويعتقد ان المنطقة السكنية كانت واقعة في الارض السهلة في حين كانت المعابد على مرتفع تل قناص ، وكانت تزين واجهات جدران المعابد مسامير طينية ملونة تنزل في الجدران لتعطى اشكالا هندسية زخرفية متعددة على نمط ألواح الفسيفساء »[٢٦] •

وقد اقترن دور الوركاء بملحمة جلجامش التي تعتبر أعظم مأثرة تعود الى عصر الوركاء ، فقد كان جلجامش كما تفيد اثبات الملوك السومرية الملك الثامن والعشرين من الملوك الذين حكموا بعد الطوفان ، وكان الملك الخامس من سلالة الوركاء الأولى ، وتضيف الاثبات ازاء اسمه عبارة ان اباه كان « للاّ » وحكم ١٢٦ سنة وابيه اورنتكال حكم ٣٠ عاما ، وفي ترجمة الاستاذ كرامر لاثبات الملوك السومرية ترد من بعد اسم جلجامش عبارة ابوه كان بدويا مع علامة استفهام[٢٧] •

(٢٦) المصدر السابق ، ص ١٢٩ •

(٢٧) Kramers, "The Sumerians," 1963 pp. 328ff.

وهناك ما يؤيد ذلك ، أي ارتباط جلجامش بالصحارى بقوله: انه هام على وجهه في الصحارى ويكرر ذلك عدة مرات في التعبير عن حزنه على موت زميله « انكيدو » الذي يرجح انه كان بدويا ايضا مثل اب جلجامش •

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان سور الوركاء الذي نسبت الملحمة بناءه الى جلجامش لم يكن مقتصرا على جنوبي العراق إذ عثر في منطقة غمر سد الفرات في سورية على سور يعود الى عصر الوركاء نفسه ، ففي ذلك يقول الاستاذ خياطة : « واذا كان هذا السور (سور الوركاء) الذي يعد من الاعمال العمرانية التي خلدتها ملحمة جلجامش يعود الى عصر مسيلم (السامي) فان التنقيبات الحديثة في منطقة غمر السد قد كشفت عن سور لمدينة في موقع (حبوبة) الجنوبية يعود الى عصر اوروك بالذات أي انه أقدم سور مدينة عرف حتى يومنا هذا بعد مدينة أريحا في فلسطين الذي يعود الى الألف السابعة قبل الميلاد[٢٨] •

واغرب ما ذهب اليه الباحثون انهم نسبوا اهم الاثار التي عثر عليها من عصر الوركاء التي ترجع الى الألف الرابعة وما قبلها الى السومريين الغرباء عن المنطقة قبل وجود السومريين في جنوب العراق ، فكان اول من تبنى نظرية كون السومريين يمثلون أقدم

(٢٨) مجلة بين النهرين العدد ٢٦ (١٩٧٩) ، ص ١٣٣ •

حضارة في وادي الرافدين فرانكفورت[٢٩] ، هذا في حين انه ثبت كما مرّ بيانه ان نماذج من اثار الوركاء المعاصرة لزمن الوركاء كانت موجودة في سورية السامية ، مثل سور الوركاء المقترن بزمن ملحمة جلجامش المشهورة ومعبد الوركاء وغيرهما مما يدل على ان حضارة الوركاء هذه يجب ان تكون سامية لا سومرية • ومن المخلفات التي عثر عليها في الوركاء والتي اعتبرها الباحثون سومرية قبل ظهور السومريين في وادي الرافدين ، الكأس الرخامية العظيمة التي عثر عليها في منطقة المعابد في جمدة نصر ولكن يرتأى بعض الباحثين ارجاع زمن نحتها الى دور الوركاء السابق • وقد نحت هذا الاناء الجميل من حجر الرخام الجيد وتتألف منحوتاته البارزة من ثلاثة انطقة من المواضيع الفنية • فالنطاق الاعلى يحتوى على مشهد كاهن وهو يقدم سلة من الفاكهة الى الالهة « انانا » (عشتار البابلية) ، ويقف خلف الكاهن اشخاص آخرون من الكهنة ايضا • ويشاهد في النطاق الثاني أسفل النطاق الأول موكب من كهنة عراة يحملون سلالا من الفاكهة وجرارا وصحونا ، ونحتت في النطاق الثالث صفوف من الكباش والغنم مع اشجار النخيل وسنابل • والمرجح ان هذا الاناء قدم الى الالهة « انانا » بصفتها الهة الخصب[٣٠] •

(٢٩) يقول فرانكفورت : « ان أقدم دور ثقافي هنا يجب أن نسميه سومري »

"The earliest material culture must arleady be called Sumerian". (H. Frankfort," Archaeogy and the Sumerian Problem". Chicago, 1947, p. 91).

(٣٠) انظر : « الاناء النذري في الوركاء » ، للدكتور فرج بصمهجي في سومر (م٣ ، ج٢ ، تموز ١٩٤٧ ، ص١٩٣–٢٠١) •

ومن المخلفات التي عثر عليها في الوركاء واعتبرت اثارا سومرية أيضا رأس امرأة بالحجم الطبيعي من رخام ابيض منحوت نحتا مجسما وقد وجد في الوركاء في طبقة تعود الى جمدة نصر ، وتبلغ هذه القطعة الفنية من الروعة درجة بحيث تعد من أرقى المنحوتات القديمة ومن القطع الفنية الفريدة في تاريخ الفن العالمي •

ومن الآثار الفنية الاخرى المهمة التي وجدت في الوركاء أيضا مسلة صغيرة من حجر البازلت الأسود نحتت بمشهد صيد الاسود، حيث صور بالنحت البارز رجلان ملتحيان يصطادان الاسود بالسهام والرماح ، وهذا اقدم مشهد من نوعه من مشاهد صيد الاسود التي شاعت في فن النحت الآشوري • وقد اعتبر هذا الاثر ايضا من مخلفات السومريين في حين اننا نعلم ان السومريين لم يستعملوا السهام وان الساميين هم أول من استعمل القسي والسهام في قتالهم مع السومريين • لذلك لا يمكن ان يكون هذا الاثر الا من مخلفات الساميين • كما ان الآثار الاخرى التي عثر عليها في الوركاء والتي وجد مثيلها في سورية السامية لا يمكن ان تكون سومرية بل سامية •

ولا يخفى ان صانعي هذه التحف الفنية الرائعة لابد أن يكونوا قد عاصروا حضارة راقية عريقة سكن أهلوها في البلاد قبلهم زمنا طويلا حتى بلغت اعمالهم هذا المستوى الفني • ونحن نعلم ان وجود السومريين في جنوبي العراق لا يتعدى زمنا أقدم من الألف الثالثة قبل الميلاد ، فأقدم ما وصل الينا من آثار

السومريين يرجع الى عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠ – ٢٣٧٠ ق•م) ، فاين كان السومريون عندما صنعت هذه الآثار في دور الوركاء أو دور جمدة نصر ؟ فلابد ان هناك شعبا ذا حضارة عريقة سكن هذه المنطقة قبل السومريين ، ومن يكون هذا الشعب من غير الساميين العرب الذين ثبت وجودهم في شمال وادي الرافدين منذ الألف التاسعة قبل الميلاد ؟ •

لذلك فهؤلاء هم يمثلون في الواقع حضارة الوركاء ما قبل التأريخ وهي غير وركاء ما بعد التاريخ التي عاصرت اهل فجر السلالات والسومريين • كما ان السامية الغربية هي غير السامية الشرقية ، فالسامية الغربية يمثلها الكنعانيون والاراميون والأغاريتيون والأموريون والفينيقيون والسامية الشرقية يمثلها الأكديون الذين عاصروا السومريين في عصر فجر السلالات •

ويلاحظ ان المتحف العراقي سار على خطى ما رسمه لنا الغربيون لجعل هذه الآثار تعود الى مصدر غير سامي لأن اللغة السومرية غير سامية وبذلك يمكن ابعاد حضارة وادي الرافدين عن الاصل السامي • وعلى هذا الاساس اعتبر المتحف العراقي كل آثار الوركاء من فترة ما قبل التاريخ مثل الكأس الرخامية وراس المرأة الرخامي ومسلة صيد الاسود وغيرها سومرية وصنفت من ضمن المعروضات السومرية ، هذا في حين ان السومريين لم يكونوا قد وجدوا بعد عندما صنعت هذه المواد • هذا مايدعونا الى عرض اقتراح بوجوب اعادة النظر في هوية هذه المعروضات وتصنيفها من جديد على أسس تتوافق مع الزمن الذي تعود اليه والجهة

التي تنتمى لها • هذا مع العلم ان الخبير الاثاري «وَرد» (Ward)
لما صنف الاختام الوركائية التي تعود الى عصر وركاء ما قبل
التاريخ في كتابه (The Seal Cylinders of Western Asia)
قال انها تعود الى العصور القديمة (Archaic Period) ، على اننا
نرى الافضل ان يسمى هذا العصر باسم (عصر وركاء ما قبل
التاريخ) وهذا يتفق مع واقع الحال لان وركاء ما قبل التاريخ
تقع في العصر السامي القديم لان آثار الوركاء الفنية نفسها وجدت
في سورية السامية • ومن المفيد ان نذكر ايضا ان هناك من سمى
آثار وركاء ما قبل التاريخ (Early Sumerian) وهذا لا يعطى
المعنى الصحيح لان السومريين لم يكونوا قد وجدوا بعد •

ز ـ حضارة جمدة نصر[٣١] :

ويرجع زمن هذا الدور ، وهو آخر عصر من العصور الحجرية
في ما قبل التاريخ الى الفترة الممتدة من سنة ٣٥٠٠ الى سنة
٣٠٠٠ ق•م ويرى البعض بدء هذه الحقبة في سنة ٣٢٠٠ ق•م•
وتقع اطلال جمدة نصر التي ينسب اليها هذا الدور على مسافة ٥٥
كيلو مترا من شمال شرقي مدينة الحلة الحالية و٢٤ كيلومترا من
شمال شرقي كيش ، ومن أهم المميزات الحضارية لهذا الدور تقدم
فن الكتابة وبدء انتقالها من طور الصور الى رموز وعلامات ثم
صارت مقاطع ذات قيم صوتية مؤلفة من اسافين أو خطوط اسفينية

(٣١) يرجح ان اسم جمدة نصر القديم كان يسمى «كدنن» (Kidnun)

عند بصمها على ألواح الطين او حفرها في الحجر وهي الكتابة التي
سميت بالكتابة المسمارية •

ويتميز دور جمدة نصر بالأواني الفخارية الخاصة من حيث
أشكالها وزخارفها وألوانها ، وبرع فنانو دور جمدة نصر بتزيين
أواني الحجر الجميلة بترصيعها أو تطعيمها بفصوص من الأحجار
الجميلة على أطرزة وأشكال بديعة •

وفي هذا الدور تقدمت الصناعات وازداد استعمال الأختام ،
وكانت على نوعين مسطحة واسطوانية ، وقد نقشت أواني الحجر
بأشكال الحيوان ومنها طعمت بالصدف ، كما ان صناعة المعادن
أخذت في التقدم فصنع منها مختلف أنواع الأسلحة والأدوات
البيتية وتطور فن العمارة وتوسعت المباني والمعابد توسعا ملحوظا
وزينت واجهاتها بالفسيفساء • ومن خصائص عصر « جمدة نصر »
تقدم النحت في الحجر إذ وجدت منحوتات نفيسة من هذا العصر
من النحت البارز والمجسم • ومن هذه المنحوتات واكثره عثر عليه
في الوركاء مسلة صيد الاسود والاناء النذرى ورأس فتاة من
الرخام بالحجم الطبيعي وتمثال صغير شمعي يمثل امرأة عارية
ومجموعة من الأختام الاسطوانية البديعة[٣٢] •

(٣٢) عن التحريات في جمدة نصر انظر : طه باقر ، مصدر سابق ، ص ٢٤١ انظر ايضا :

E. Mackay, "Report on the Evcavations of Jemdet Nasr" (1931; H. Field and Martin," Printed Pottery from Jemdet Nasr in American Journal of Archaeology (1935) pp. 310ff; Ann Perkins The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia (1947).

ح ـ حضارة عصر مسيلم السامي :

وقد ألحق الباحثون وفي مقدمتهم الدكتور مورتكات الخبير الاثاري الالماني المعروف بدور جمدة نصر دوراً آخر سمي بـ «عصر مسيلم» نسبة الى مسيلم ملك مدينة كيش السامية ، واسم مسيلم هذا كما هو واضح اسم سامي ، وينتهي بهذا العصر عصر ما قبل التاريخ .

وكان مسيلم ملكا على كيش في الفترة التي ترجع الى اواخر سلالة كيش الأولى الذي يتفق مع زمن أوائل سلالة أور الأولى (حوالي أواخر النصف الأول من القرن السابع والعشرين قبل الميلاد) ، ويضع الباحثون زمنه في الطور الثاني من عصر فجر السلالات . ويرجح ان مسيلم حكم القطر كله في زمن ما ، وانه حكم من بعد « اكا » بقليل ذلك الملك الذي اقترنت معه قصة « اكا » ملك كيش ونزاعه مع جلجامش صاحب الملحمة المشهورة.

وأهم اشارة تاريخية وصلت الينا عن « مسيلم » هي الاشارات القديمة التي جاءتنا من جانب حكام سلالة لجش الأوائل الذين حكموا في طور فجر السلالات الثالث ، وهي التي وردت في نصوص « انتيمينا » حاكم مدينة لجش في نصه التاريخي الذي يدون اخبار النزاع والحرب ما بين مدينة لجش وبين المدينة المجاورة « اوما » حيث كان الحكم في ذلك النزاع مسيلم الذي حكم قبل « انتيمينا » بعدة اجيال ، وانه هو الذي حدد الحدود ما بين الدولتين المتحاربتين فوضعت حجرة على الحدود المتفق عليها من الطرفين وسميت « لوحة مسيلم » التي تذكره بلقب ملك كيش .

« وتشير الكتابات القصيرة التي وصلت الينا من الملك « مسيلم» الى امتداد سلطانه السياسي ولا سيما ما وجد في مدينتي لجش و « ادب » السومريتين اللتين كان حاكماهما تابعين له »(٣٣) .

ومع ان مسيلم حكم في كيش في القرن السابع والعشرين قبل الميلاد ، غير انه قد اصطلح على عصر مسيلم باعتباره يمثل عصر الساميين في المنطقة الذي يمتد الى عصري جمدة نصر والوركاء في ما قبل التاريخ باعتباره دور انتقال من السومريين الى الساميين. وقد أرجع الدكتور مورتكات عصر مسيلم السامي الى عصر ملحمة جلجامش المشهورة التي تعود الى عصر فجر السلالات الثامن (٢٨٠٠ – ٢٦٠٠ ق.م) فقدر ان سور اوروك الشهير الذي أقامه جلجامش الملك الخامس من سلالة الوركاء الاولى والذي بعد اعظم مأثرة لجلجامش بطل الملحمة يرجع الى عصر مسيلم ، فيقول في ذلك : « وبما ان سور اوروك المكتشف والذي يعتبر اعظم مأثرة لجلجامش يعود الى عصر مسيلم فانه يجوز لنا ان نرى في ملحمته انعكاساً للفصل الثالث من فجر التاريخ السومري الذي يمثل عصر مسيلم السامي ، وبذا يمكننا الترجيح بان كيش كانت منطلقا لاول عملية تأسّم (التطعيم بالعنصر السامي) قوية للشعب السومري »(٣٤) .

---

(٣٣) طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ص ٣٠٥ .

(٣٤) مورتكات ، مصدر سابق ، ص ٥٤ .

دور مسيلم ومملكة اشنونا :

لقد ثبت ان حضارة دور مسيلم التي تشكل الفصل الاخير من عصور فجر التاريخ حضارة سامية كليا اذا قورنت مع عصر اوروك وجمدة نصر ، ففي هذا العصر طرأ تبدل جذري على صناعة الاختام وطراز البناء وعلى فن النحت المعدني بوجه خاص • وقد قامت البعثة الامريكية التابعة لجامعة شيكاغو (المعهد الشرقي) ، ١٩٣٠ – ١٩٣٧ ، بتنقيبات وافية في التلول العائدة الى دور مسيلم أهمها « تل اسمر » و « تل خفاجي » و « تل اشجالي » و « تل اجرب » أو تل عقرب » ، وقد ظهر لها ان هذه المواقع تعود الى مملكة اشنونا التي شمل حكمها المنطقة الواقعة بين سفوح مرتفعات جبال زاغروس شرقا وبين نهر دجلة غربا ، وكذلك المناطق الواقعة على الضفة الغربية لنهر ديالى قرب مصبه الحالي في دجلة •وقد سميت نسبة الى عاصمتها المسماة « اشنونا » (تل اسمر حاليا) (انظر ما تقدم في المرحلة الثالثة الفقرة ٥ ج) ، فكشفت عن نتائج مهمة عرفتنا بحضارة وادي الرافدين في عصر فجر السلالات وبخاصة العصر البابلي القديم في حدود ١٩٠٠ – ١٨٥٠ ق•م•

وقد ظهر من تحريات مديرية الاثار بعد ذلك ان هناك جملة مراكز أخرى مهمة تمتد الى مدينة بغداد الحالية ولا سيما ضواحيها الشرقية مثل « تل حرمل » في منطقة تل محمد الحالية • وقد اظهرت التنقيبات التي اجريت في هذا الموضع (١٩٤٥ – ١٩٦٢) نتائج مهمة من العصر البابلي القديم • وقد تبين من النصوص التي اكتشفت فيه ان اسم الموضع القديم « شاديم » وكان من بين

المراكز الادارية المهمة التابعة الى مملكة اشنونا • ووجدت في تل حرمل مجموعات كثيرة من الواح الطين (ما بين ٤٠٠٠ و٥٠٠٠ لوح) فيها جملة الواح رياضية مهمة ونسخة من الشريعة العائدة الى مملكة اشنونا التي يرقى زمنها الى اوائل العصر البابلي القديم•

ومن المواضع المهمة التابعة الى مملكة اشنونا التل المسمى تل الضباعي وقد تحرت فيه مديرية الاثار (١٩٦٠ – ١٩٦٣) وهو قريب من تل حرمل ووجدت فيه ايضا مجموعة مهمة من الواح الطين من بينها بضعة الواح رياضية مهمة (أنظر مجلة سومر ١٩٦٣) •

وتتميز حضارة مملكة « أشنونا » بموقعها الجغرافي بالنسبة الى بلاد الرافدين من مجاورتها لبلاد عيلام وبلاد آشور وبلاد أكد في الوسط مما جعلها ذات أهمية خاصة في تاريخ وادي الرافدين بالاضافة الى تأثرها الحضاري والاقتصادي من الجهات الشمالية والشرقية[٣٥] •

وهناك ادلة كثيرة تؤكد سامية مملكة اشنونا هي :

اولا – ان جماعات من العموريين الساميين قد استقروا في مملكة اشنونا •

---

(٣٥) انظر : طه باقر ، « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ص ٤١٤–٤١٨ • راجع أيضا حول تاريخ مملكة اشنونا :
Frankfort and Jacobsen, "The Gimil-Sin Temple and the Palace of the Rulers of Tell Asmar".

ثانيا ـ ان اكثر ملوك اشنونا كانوا يحملون اسماءاً سامية .

ثالثا ـ ان معبود مملكة اشنونا هو الاله « سين » والمعروف ان الاله « سين » هو اله الساميين .

رابعاً ـ ان اللغة التي كانت سائدة في مملكة اشنونا هي اللغة الاكدية السامية اذ كانت منطقة اشنونا تابعة الى ملوك الدولة الاكدية ثم من بعد فترة الحكم الكوتي اصبحت تابعة الى ملوك سلالة اور الثالثة .

ويلاحظ ان المتحف العراقي اعتبر كل المواد التي تعود الى مملكة اشنونا سومرية في حين لا توجد لهذه المملكة أية صلة بالسومريين وبخاصة انها تقع في المنطقة السامية .

٦ ـ تعليق حول حضارة العبيد :

يتضح مما شرحناه عن دوري حسونة وسامراء ودور العبيد بان كل الدلائل والقرائن تؤكد بأن هذه الادوار الثلاثة لايمكن ان تكون الاّ من الأصل السامي العربي وحضارته التي كانت منتشرة في كل الشرق الأدنى في أواخر العصر الحجري المعدني .

فدورا حسونة وسامراء يقعان في العراق (وادي الرافدين) الذي هو من أصل عراقي (سامي) وكذلك ما يتعلق بمنطقة العبيد في جنوب العراق .

فقد كانت الحضارة العبيدية العراقية محاطة بحضارة سامية من كل الأطراف ، من شمال وادي الرافدين (سورية السامية)

ومن جزيرة العرب (شمالها وشرقها وجنوبها) وهي سامية عربية ، ومن جنوب العراق (الخليج العربي) وهو سامي عربي الأصل ايضا . وكان ذلك في الألف الرابعة وفي ما قبلها ، بمعنى ان هذه الحضارة ازدهرت في عصور ما قبل التاريخ وقبل أن يظهر السومريون في جنوب العراق باكثر من الفي سنة . فهذه هي حضارة العراق الاساسية قبل ان يظهر السومريون في المنطقة وقبل ان تكون هناك كتابة يمكن ان تنسب الى هذا القوم أو ذاك لاننا لا نعرف باية لغة كان يتكلم أهل حسونة وسامراء والعبيد . لذلك لا يستطيع أي باحث أن يحدد هوية هؤلاء في تلك العصور، هذا في حين اننا نعلم ان المنطقة كلها سامية عربية الأصل ازدهرت حضارتها نتيجة لهجرات سكان الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب إثر الجفاف الذي حلّ بلادهم في أعقاب الدورة الجليدية الرابعة والأخيرة .

ونستخلص من كل ما تقدم أن حضارة العبيد التي ترجع الى ما قبل ٥٠٠٠ الى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد والتي وجدت في كل انحاء الوطن العربي السامي (في شمال وادي الرافدين (في سورية) كما في شمال العراق وفي جنوبه ، كما في جزيرة العرب، وكما في الخليج العربي) هي الأساس الحضاري السامي المشترك بين كل هذه المواقع ، فكانت تؤلف وحدة حضارية سامية تتصل اتصالا مباشرا بلا عائق طبيعي يعوقها بجزيرة العرب من كل الأطراف.

ويلاحظ ان الباحثين تغافلوا وجود هذه الحقبة الحضارية العبيدية التي انتشرت في الوطن العربي كله ومن ضمنه العراق وأهملوا البحث في هويتها على الرغم من انها لعبت دوراً رئيساً في

تكوين الحضارة الانسانية ، فاعتبروها جزءا من الحضارة السومرية في جنوب العراق أو اكتفوا بعدّها من العصور الأولى بل وقد اعتبروا العبيديين مجهولين من غير تحديد لهويتهم • وذلك لاعطاء الأهمية الكبرى في المبادهة الحضارية لشعب غريب عن المنطقة • نحن نعتبر حضارة العبيد حضارة سامية عربية مستندين في ذلك الى واقع الحال ، فحضارة العبيد كانت محاطة من كل الأطراف بحضارة سامية عربية معاصرة لها أو أقدم منها • ولكن مع ذلك فقد انتبه بعض العلماء الذين لا يتأثرون بدوافع عاطفية الى هذه الحلقة المفرغة من تاريخ حضارة وادي الرافدين فافاد بعضهم بان أرض سومر لابد أن يكون قد سكنها قبل السومريين شعب ذو لغة سامية لوجود العنصر السامي في هذه المنطقة منذ عصور قديمة • فقد ذهب الدكتور كارلتون كون صاحب كتاب « قصة الانسان » (ص ٣١٧) الى « أن أرض سومر كان يسكنها شعب ذو لغة سامية في أغلب الظن » •

والغريب انني لم اجد في دراساتي وقراءاتي الطويلة غير الدكتور كارلتون كون من الباحثين الاجانب يعترف بدور الساميين في تقدم حضارة وادي الرافدين • وقد أيد الاستاذ طه باقر الدكتور كون في كتابه « مقدمة في الحضارات القديمة » (ص ٦٤) فقال ما نصه « ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في السهل الرسوبي (من جنوب العراق) بل جاوروا أقواماً أخرى وفي مقدمتهم الساميون » • ويضيف الى ذلك قوله : ان الحضارة السومرية ازدهرت في مطلع الألف الثالثة ق•م• وهذا

يضعف رأي من ذهب من الباحثين الى جعل بداية حضارة وادي الرافدين في الاطوار الاخيرة من دور الوركاء (ص ٢٣١ المرجع السابق) • يؤيد ذلك سبيزر ويقول : « لا يمكن ان يمثل السومريون أقدم سكان العراق لان هناك مدنا ترجع الى عصور أقدم منهم يحملون اسماءاً غير سومرية »[٣٥] •

وقد لاحظنا ان دائرة الآثار العراقية تجنبت ذكر السومريين في تصنيفها لآثار حضارة العبيد فاعتبرتها من ضمن معروضات العصور الاولى ويبدو أنها فعلت ذلك للتخلص من مشكلة السومريين وهي العقدة الاساسية التي لم تحل حتى الآن ، ونعتقد بأن هذه المشكلة لا يمكن أن يحلها غير خبراء الآثار في تاريخ الشرق الادنى القديم في البلاد العربية وقد أصبح الآن عدد غير قليل منهم ، لان أكثر الخبراء الاجانب لا يرغبون في معالجة هذا الموضوع لحقدهم على الساميين عامة والعرب خاصة •

ومهما كان الامر فقبل أن ننهي حديثنا عن دور العبيد لا يسعنا الا أن نؤكد واثقين من صحة ما نقول استنادا الى الوثائق التي بين أيدينا فنعتبر حضارتي العبيد وأريدو حضارتين ساميتين من حضارات ما قبل التاريخ بدليل ان حضارة العبيد في جنوب العراق كانت محاطة بحضارات عبيدية سامية من كل أطرافها : ففي سورية السامية كانت حضارة عبيدية معاصرة لحضارة العبيد العراقية ، وفي شبه جزيرة العرب كانت حضارة عبيدية عربية

---

(٣٥) E. A. Speiser, "Mesopotamian Origins", London, 1930, pp. 38 ff.

سامية ، وكذلك كانت في الخليج العربي حضارة عبيدية عربيـــة سامية أيضا • أما أريدو فتدلنا اثبات الملوك السومرية انأول ملك حكم في أريدو كان يحمل أسما ساميا هو « ايلولم » وقد حكم في أريدو ٢٨٠٠٠ سنة كما ورد في اثبات الملوك المذكورة • وكان ذلك قبل الطوفان أي في عصر ما قبل التاريخ • وهذا يدل على تواجد الساميين في جنوب العراق في أقدم مدينة عراقية في تاريخ تاريخ العراق القديم •

٧ ـ الخلاصة

يتضح مما تقدم ان أدوار حسونة وسامراء والعبيد والوركاء وجمدة نصر بالاضافة الى عصر مسيلم الســـامي المقترن بمملكة اشنونا ، كلها تمثل نهاية عصور ما قبـــل التاريخ من ضـــمن المرحلة الثالثة من حضـــارة وادي الرافدين ، وهي حضـــارة العراق الاســـاسية وأقدمهـــا دامت أكثر من الفي ســـنة قبل ظهور الســـومريين الى عـــالم الوجود في وادي الرافـــدين • ومن كل ذلك نستطيع أن نجزم بان هذه الحضارة التي تواجدت في العراق قبل السومريين بحوالي الفي عام لا يمكن ان تــكون سومرية لانه لا يعقل أن تكون سومرية في حالة عـــدم وجود السومريين ، ولكن على الرغم من كل ذلك اصطلح البـاحثون قاطبة على اعتبار هذه الادوار سومرية من غير أي سند تاريخي وذلك قبل أن يكون قد ظهر السومريون الى الوجود ، وذلك رغبة منهم في اعتبار أقدم حضارة في العراق ترجع الى شعب غريب عن المنطقة لا يمت بصلة الى الساميين ، فاعطوا الاهمية الكبرى في المبادهة الحضارية الى شعب غريب بلغته عن المنطقة أعني السومريين ،

هذا في حين ان السامية العربية تمثل أقدم حضارة في العراق بدليل انها كانت محاطة بحضارات سامية من كل الاطراف مصدرها البشري جزيرة العرب •

وهناك عدد كبير من علماء الآثار يؤيد هذا الرأي ، فيذهب الى ان السومريين عندما جاءوا الى وادي الرافدين كانوا في بداية أمرهم يجاورون أصحاب حضارة أرقى واقدم من حضارتهم ومنها اقتبسوا عناصر ثقافتهم ، بدليل نشوء ادب بطولي او ملاحمي لدى السومريين (Heroic Age) وهو نوع من الادب يظهر عادة عند الاقوام غير المتحضرة بتأثير جوارها الى حضارات أرقى مثل عصر البطولة اليوناني (الممثل بالالياذة والاوديسة) حينما اتصل اليونان بحضارة الاقوام الايجية (ومركزها في جزيرة كريت) ومثل عصر البطولة الذي نشأ عند برابرة أوروبا ابان جوارهم للحضـــارة الرومانية • ويؤيد ذلك الاستاذ طه باقر ويقول : « ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في السهل الرســوبي (من جنوبي العراق) بل جاوروا اقواما أخرى وفي مقدمتهم الساميون»[٣٦] • ونخلص من كل ذلك ان الشعب السامي قد سـبق السومريين في الاستيطان في السهل الرسوبي من جنوبي العراق وان الشعب السامي كانت له حضارة ارقى من حضارة السومريين فاقتبس السومريون حضارتهم منهم •

وقد ايد الدكتور مورتكات ذلك ايضا • فقد اعتبر دوري الوركاء وجمدة نصر ودور مسيلم السامي عصرا مستقلا ســماه

(٣٦) طه باقر ، « مقدمة •• » مصدر سابق ، ص ٦٤ •

عصر فجر التاريخ وليس بدء التاريخ وهو يمثل اواخر عصور ماقبل التاريخ • فقد استخلص الدكتور مورتكات من دراسته لتاريخ الشرق الادنى القديم بأن هناك (نهضة سومرية ـ سامية) قوية وعنيفة يتفق وقوعها مع أواخر العصر الحجري المعدني في جنوب بلاد ما بين النهرين ، وفي هذه الحقبة الحضارية التي تشتمل على الادوار الثلاثة (دور الوركاء ودور جمدة نصر ودور مسيلم) نقطة تحول مهمة وبارزة في التطور الحضاري في جنوب العراق وسمى هذه الحقبة بعصر فجر التاريخ • وقد اعتبر عصر جمدة نصر الذي يضم معه عصر مسيلم السامي الذي اقترح اضافته الى عصر فجر التاريخ نهاية ادوار ما قبل التاريخ ، وهو الدور الذي يفصل ادوار ما قبل التاريخ وبداية العصور التاريخية • فيقول ما نصه :

« ينقسم فجر التاريخ الى ثلاثة فصول فرعية يتشابه قسم منها مع بعضه البعض كليا ويختلف القسم الآخر عن بعضه البعض اختلافا كبيرا وهي : أ ـ عصر الوركاء ، ب ـ عصر جمدة نصر ، ج ـ عصر مسيلم »[٣٧] • ثم يقول في وصف هذا التحول (العنيف) كما وصفه : « يؤكد لنا هذا التحول مركز ثقل الحضارة من أقصى الجنوب على الخليج العربي الى المنطقة التي تعلوها قليلا الى الشمال ، وهي منطقة العاصمة بغداد الحالية ، أي من مدن أوروك وأريدو وأور الى مدينة كيش السامية عاصمة الملك « مسيلم » •• واذا ثبت بشكل قاطع ـ كما تشير جميع الدلائل ـ بأن الثقل الحضاري في عصر « مسيلم » قد تحرك من الجنوب الى الشمال ،

(٣٧) مورتكات ، مصدر سابق ، ص ٣٣ •

فانه يجوز لنا ان نرجع سبب ذلك بقليل من الارجحية الى الساميين• بناء على ذلك يمكننا ان نعلل الانقلاب الذي أعقب عصر جمدة نصر وهو عصر مسيلم ، كنتيجة لتطعيم الشعب السومري القوي بدم الشعب السامي • وينتهي الى القول :

« وختاما لابد لنا من التوضيح ان السامية قد ظهرت الى الوجود في عصر مسيلم خلف لباس سومري دون أن تكون سامية خالصة »[٣٨] •

وقد أرجع الدكتور مورتكات عصر « مسيلم » السامي وسور الوركاء الى عهد ملحمة جلجامش التي تعود الى عصر فجر السلالات الثاني (٢٨٠٠ ـ ٢٦٠٠ ق•م) فيقول في ذلك :

« وبما ان سور أوروك المكتشف والذي يعتبر أعظم مأثرة لجلجامش يعود الى عصر مسيلم فانه يجوز لنا أن نرى في ملحمته انعكاسا للفصل الثالث من فجر التاريخ السومري الذي يمثل عصر مسيلم السامي ، وبذا يمكننا الترجيح بأن كيش كانت منطلقا لاول عملية تأسّم (التطعيم بالعنصر السامي) قوية للشعب السومري »[٣٩] •

(٣٨) المرجع السابق ، ص ٥١ •
(٣٩) المرجع السابق ، ٥٤ •

المرحلة الرابعة

الحضارة السامية ـ السومرية

(٣٠٠٠ ـ ٢٣٧٠ ق.م.)

١ ـ الحضارة السامية ـ السومرية .

٢ ـ عصور فجر السلالات .

٣ ـ وحدة الساميين والسومريين .

٤ ـ السومريون وطنهم الاصلي .

٥ ـ رأي الاستاذ طه باقر في أصل السومريين

٦ ــ رأينا في أصل السومريين .

٧ ــ عصر السومريين القديم وعصر السومريين الحديث .

٨ ــ أصل المدن السومرية .

٩ ــ الكتابات السومرية في العصرين القديم والحديث .

١٠ــ الخط المسماري (الكتابة المسمارية ــ سامية ــ أم سومرية) .

١١ــ حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين .

١٢ــ الخلاصة .

١ ــ الحضارة السامية ــ السومرية

لقد مر بنا القول بأن حضارة وادي الرافدين بعد ان انتقلت في مرحلتها الثالثة من الشمال الى الجنوب في العصر الحجري المعدني الوسيط والاخير استقرت في العراق وكوّنت فيه حضارات حسونة وسامراء والعبيد والوركاء وجمدة نصر وأخيرا حضارة عصر مسيلم ، وهذه كانت تؤلف حضارة العراق الرئيسة في عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ ، وقد أشرنا كذلك الى أن هذه الحضارة كانت سامية الاصل ولها صلات مع كل الحضارات السامية التي كانت تحيط بها من كل الاطراف ، وقد انتشرت في كل الوطن العربي السامي وانها دامت حوالي ٣٠٠٠ سنة .

والآن اذ ننتقل الى المرحلة الرابعة التي تتناول الحضارة السامية السومرية نكون قد دخلنا عصور بداية التاريخ التي يتصدرها عصر فجر السلالات وقد قسمه علماء الآثار الى ثلاثة أطوار وهي حسب تسلسلها وأزمان حدوثها كالآتي :

الطور الاول ــ عصر فجر السلالات الاول = ٣٠٠٠ــ٢٨٠٠ ق.م

الطور الثاني ــ عصر فجر السلالات الثاني = ٢٨٠٠ــ٢٦٠٠ ق.م

الطور الثالث ــ عصر فجر السلالات الثالث = ٢٦٠٠ــ٢٣٧٠ ق.م

٢ ـ عصر فجر السلالات

لقد تميز عصر فجر السلالات بازدهار العمران واتساع مراكزه ممثلا بكثرة وعظمة المدن منذ العصر الشبيه بالكتابي • وقد ازدهرت الزراعة في هذا العصر واتسعت التجارة الخارجية واقيم جهاز فني منظم للري • وصار للمدن في هذا العصر مركز سياسي واقتصادي وديني يضم مدنا أخرى وقرى ومزارع • ويرجع الفضل في هذا الازدهار الى تعاون الساميين من جهة والسومريين الذين ظهروا على مسرح الاحداث من جهة اخرى • فتضافرت جهودهما في سبيل تقدم وتطور الحضارة السامية السومرية ، التي اصطلح الباحثون على تسميتها بالعصر السومري القديم لتمييزه عن الانبعاث السومري الاخير الذي سمي بالعصر السومري الحديث • وأهم ما كان يتميز به هذا العصر ظهور المدن المستقلة التي اصطلح على تسميتها بعصر « دويلات المدن » (City States) • وكانت هذه المدن على الغالب في نزاع واحتراب مستمرين للاستحواذ على الاراضي الزراعية ومصادر الري ، التي أصبحت مصدرا للثروة والسلطان وعماد الازدهار والتطور الحضاري • وهذا ما كان يحول دون توحيد هذه الدويلات تحت عرش واحد • وأول محاولة في هذا السبيل أقدم عليها السومريون بزعامة لوكال زاكيزي وهو ابن آخر ملوك دولة « اوما » السومرية ويرجح ان اباه كان من أصل سامي (اكدي) حيث تمكن من فتح اوروك وجعلها عاصمة له وأسس سلالة اوروك الثالثة في حوالي النصف الثاني من الالف الثالثة قبل الميلاد (نحو ٢٣٥٥ ق•م) • وقد حكم لوكال زاكيزي

٢٥ سنة حارب في خلالها المدن الاخرى واستطاع توحيد قسم كبير من المدن الجنوبية تحت عرشه واخيرا فتح مدينة لجش وقضى على آخر ملوكها (اوركا جينا) • وحاول لوكال زاكيزي توحيد البلاد وربطها بقانون مدني واحد ولكنه اخفق في تحقيق ذلك لان الموجات السامية ملأت البلاد قادمة من جزيرة العرب عن طريق سورية والفرات • لذلك لم يكتب للسومريين ان ينجحوا في توحيد البلاد حتى ظهور سرجون الاكدي السامي على مسرح الاحداث فقضى على لوكال زاكيزي ، وأول عمل قام به سرجون هو توحيد البلاد تحت سلطة مركزية ، وبظهوره انتهى عهد دويلات المدن كما انتهى العهد السومري القديم • لذلك اصطلح احيانا على تسمية عصر فجر السلالات بـ « عصر ما قبل سرجون » الذي دام حوالي ٥٠٠ سنة (٣٠٠٠ ـ ٢٣٧٠ ق • م) •

يتضح مما تقدم انه لا توجد حضارة سومرية خالصة بل تواجدت حضارة سامية سومرية ازدهرت في عصر فجر السلالات بمشاركة الساميين والسومريين ، وهي المصطلح عليها عند الباحثين بالحضارة السومرية الاولى أو العصر السومري القديم • ونتيجة لمشاركة العنصرين السامي والسومري في صنع هذه الحضارة برزت سلالات سامية وسومرية أهمها سلالتان الاولى سلالة كيش الاولى وقد ظهرت بعد الطوفان مباشرة ويتمثل فيها العنصر السامي ، والثانية سلالة اوروك الاولى ويتمثل فيها العنصر السومري الذي دخل المنطقة لاول مرة بعد استقرار الساميين في البلاد وهذه هي غير وركاء ما قبل التاريخ وكلتاهما تواجدتا في عصر ما قبل

التاريخ وفي ما بعد التاريخ . وقد شاركت مع سلالة اوروك الاولى المذكورة سلالة لجش الاولى وسلالة اور الاولى في صنع هذه الحضارة السامية السومرية .

وقد برز في عصر فجر السلالات اكتشافان مهمان في تاريخ العراق القديم الاول اكتشاف ملحمة جلجامش المشهورة خامس ملوك سلالة اوروك الاولى وهي غير الوركاء التي تعود الى العصر الحجري المعدني ، والثاني اكتشاف المقبرة الملكية في اور التي ترجع الى عصر فجر السلالات الثالث .

٣ ـ وحدة الساميين والسومريين

وفي هذه المرحلة نلاحظ دخول عنصر جديد غريب عن المنطقة في لغته يعرف بالسومريين ، فعاش هؤلاء مع العنصر السامي الذي كان قد تواجد في المنطقة قبل السومريين جنبا الى جنب بسلام تسود فيه روح المودة والتآلف ، فتعاونا معا في جميع المجالات الفكرية والاجتماعية والسياسية لصنع حضارة مشتركة في سومر وأكد يصح تسميتها حضارة (سامية ـ سومرية) في جنوب العراق ، وذلك خلافا لما كان ينسبه الباحثون من صراع واحتدام بينهما ، فأخذ كل منهما الشيء الكثير من الآخر وأسهم كلاهما في صنع هذه الحضارة على الاراضي الرسوبية من جنوبي العراق المعروفة بـ « دلتا الرافدين » دجلة والفرات . ولما كان الشعبان قد مارسا أعمال الري والزراعة فتمكنا من تأسيس اقدم وارقى حضارة نهرية معروفة في وادي الرافدين ، مع الفارق ان الشعب السومري كوّن

ثقافة خاصة به ضمن حدود المنطقة الذي تواجد فيها ثم انقرضت ثقافته ، هذا في حين أن الشعب الاكدي السامي الذي كانت له أقدم واعمق جذور في المنطقة استطاع بتفوقه على السومريين أن يوحد البلاد تحت سيطرته ويكوّن أول امبراطورية في عالم ذلك الزمان ، ولم يكتف هذا الشعب بتوحيد المدن السامية والسومرية وفرض سيطرته عليها بل امتد سلطانه الى خارج بلاد سومر وأكد حتى شمل اكثر بلاد الهلال الخصيب . ويتميز هذا الاختلاط بين الشعبين بأنه تم بينهما بلا قتال ولا غزو حتى اذا ما شعر الشعب السامي بتفوقه أخذ يركن الى استعمال القوة لفرض سيطرته على البلاد وتوحيد الشعبين السامي والسومري فعلا بعد ان كانت الوحدة بينهما اسمية في العرف والتقاليد .

يقول الدكتور مورتكات في كتابه « تاريخ الشرق الادنى القديم » (ص ٨٤ـ٨٥) : « من المؤكد ان الساميين قد نزلوا البلاد قبل ان يكون هناك امبراطورية أكدية أصلا ، ومن المؤكد أيضا أنهم لم يقفوا منذ قرون ضد السومرية وحسب بل تصاهروا مع السومريين واختلطوا معهم وتعاونوا معا في جميع المجالات الفكرية بعد أن دخلوا البلاد مسالمين على شكل هجرات متتالية وباعداد متزايدة حتى ان تفوقهم على السومريين كان حقيقة واقعة منذ قرون عديدة، كما حدث في ماري وكيش خاصة واننا نملك منحوتات من مدينة ماري تحمل كتابة سامية أقدم من عصر سلالة اور الاولى (منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد) ناهيك عن حضارة مسيليم (السامية) التي تشكل الفصل الاخير لعصر فجر التاريخ ، تلك الحضارة التي

تجعلنا نفترض وجود مساهمة قوية في بنيانها ، وذلك على عكس عصر ازدهار الحضارة السومرية خلال حقبة اوروك الرابعة»[36] •

وكان الباحثون يذهبون الى أن هناك صراعا واحترابا دائمين ما بين الساميين والسومريين ، الا ان البحوث الحديثة فندت هذه النظرية ، وكان الاستاذ جاكوبسون اول من تصدى لتنفيذها[37] وشاركه في الرأي الدكتور مورتكات وقد سبقت الاشارة الى ذلك • هذا واذا رجعنا الى الناحية الدينية التي كان لها التأثير الكبير في حياة المجتمع نجد ان سومر وأكد كانا يعتبران في العرف الديني لدى مجمع الآلهة بلادا واحدة ، فلا يتم تسلم ملوكية سومر وأكد الا بقرار من مجمع الآلهة السومري الاكدي (Sumero Akkadian Pantheon) فكان الاله « انليل » ابو الآلهة الذي كان يحكم الارض والسماء هو الذي يعلن القرارات التي يتخذها مجمع الآلهة ويشرف على تنفيذها ، وكان انليل يحمل اسما واحدا في سومر وفي اكد وهذا ما يدل على انه يمثل بلدا واحدا • وتدل المعلومات المستقاة من النصوص السومرية على أن آلهة

(٣٦) يقصد هنا بحقبة أوروك الرابعة دور الوركاء في ما قبل التاريخ وهو الطور الذي تمثله في الوركاء الطبقتان الخامسة والرابعة ، وقد جعل هذا الطور الاخير من الوركاء مع دور جمدة نصر وعصر فجر السلالات الاول عصرا حضاريا خاصا سمي بالعهد الشبيه بالكتابى او الشبيه بالتاريخى (٣٥٠٠–٢٨٠٠ ق٠م) (انظر ما تقدم عن دور الوركاء) •

(٣٧) انظر :
Journal of the American Oriental Society, (1939), pp. 485 ff.

سومرية كانت تعبد من قبل الساميين وبالعكس آلهة سامية كانت تعبد من قبل السومريين : فالاله شماش (اله الشمس) وهو اله سامي كان يعبد في سيبار السامية وفي لارسة السومرية ، والالهة « ننخرساج » (الالهة الام) كانت تعبد في لجش السومرية وفي كيش السامية وكان لها معبد في ماري السامية • وكان الساميون قد اصطلحوا على هذه الآلهة بأسماء خاصة بهم وبلغتهم السامية ، ولو كانوا اقتبسوا عبادة هذه الآلهة وممارسة طقوسها الدينية من السومريين لاقتبسوا اسماءها السومرية نفسها دون حاجة لجعل تسميات خاصة لها بلغتهم •

ان أول معرفتنا بالساميين والسومريين وصلتنا مقرونة بلقب ملك سومر وأكد ، فقد ورد اسم السومريين أولا بالاكدية باسم ملك سومر واكد Sumeri Akkadi يقابلها باللغة السومرية Kin- en-ge ظهر ذلك لاول مرة في كتابة تعود الى ملك الوركاء (اينساكوسانا) (Ensakusanna) حوالي سنة ٢٤٥٠ ق٠م • وكان يطلق اسم (Kin- en -ge) على المنطقة المختصة بمدينة (نفر) ولكن بعد هذا التاريخ بدأ يطلق على القسم الجنوبي منها « رجل من سومر »[38] • وهذا يدل على ان أول معرفتنا بوحدة سومر وأكد في حوالي منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد مقرونة بأكد وسومر ، مما يؤكد بأن بلاد سومر وأكد كانت تؤلف وحدة جغرافية لاتتجزأ كما كانت وحدة دينية متماسكة •

(٣٨) الدكتور فوزي رشيد ، ١ « قواعد اللغة السومرية » ص٢٧ و ٢٩ •

ويستنتج من اثبات الملوك السومرية الامور التالية :

١ ـ ان منطقة اكد وسومر كانت تؤلف وحدة جغرافية لا تفصل بينهما حدود واضحة طبيعية او مثبتة .

٢ ـ ان ملوكا سومريين حكموا في مدن سامية وملوكا ساميين حكموا في مدن سومرية قبل الطوفان وبعد الطوفان. وأول ملك حكم في أقدم مدينة في عصر ما قبل الطوفان وهي (اريدو) كان يحمل اسما ساميا « أيلولم » وهذا يدل على وجود الساميين في العراق منذ أقدم الازمنة .

٣ ـ ان جماعات من الساميين استقروا في مدن سومرية وجماعات من السومريين استقروا في مدن سامية قبل الطوفان وبعد الطوفان .

٤ ـ ان السلالة الأولى التي حكمت بعد الطوفان مباشرة كانت في مدينة كيش السامية أي في المنطقة السامية وليس في بلاد سومر، وهذا يفسر لنا شيئين :

اولا ـ ان سلالة كيش السامية كان لها مركز أولي في البلاد وان عدة ملوك قدامى قد اتخذوا لقب ملك كيش رمزا لاتساع سلطانهم السياسي في البلاد .

ثانيا ـ ان سلالة كيش السامية لابد انها كانت موجودة قبل الطوفان أيضا .

٥ ـ ان وجود مدن سامية قبل الطوفان ووجودها بعد الطوفان مباشرة دليل على قدم وجود الساميين في البلاد منذ أقدم العصور كما انه دليل على الاختلاط العنصري أو القومي بين الساميين والسومريين .

والدليل على خطل النظرية التي أخذ بها بعض الباحثين ،وهي القائلة بأن السومريين والاكديين الساميين كانوا في صراع دائم بينهم ان بعض مآخذ جداول الري التي كان السومريون في الجنوب يستقون منها مياه الشرب ومياه ري المزارع كانت تقع في المنطقة السامية الشمالية ، الامر الذي كان يوجب الاتصال المستمر بين الجانبين حيث تقضي صيانة هذه المآخذ ومراقبتها بوصول الزراع السومريين في الجنوب الى مواقع هذه المآخذ في الشمال حيث منطقة الاكديين الساميين . ومثال ذلك ان جدول « اي ـ تو ـ رونكال » الذي كان يروي عددا من أهم المدن السومرية وابرزها مثل أدب وأومة ولجش ولارسة كان يأخذ من نهر الفرات في المنطقة السامية ويمتد جنوبا أكثر من ١٣٠ كيلومترا حتى يصل الى المدن السومرية المذكورة ، ذلك ما يدل على ان حياة هذه المدن كانت مرتبطة ارتباطا كليا بالمنطقة السامية ، يدلنا كل ذلك على ان احتكاك السومريين في هذه المرحلة الاخيرة من حضارة وادي الرافدين كان عميق الاثر من حيث التلاحم والتفاعل بين العنصرين بحيث نستطيع القول بأنهما كانا يكوّنان شعبا واحدا تربطه مصالح مشتركة على نهر مشترك هو الفرات ، مصدر حياتهما وازدهارهما . لذلك ليست هناك أية حضارة سومرية خالصة ، وان الازدهار الحضاري

الذي يسميه البعض حضارة سومرية ان هو الا حضارة سامية ــ سومرية جذورها تمتد عمقا في السامية الاصلية ، التي هي أم الحضارات في الشرق الادنى كله .

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان الملاحة في نهر الفرات وفي جداول الري لعبت دورا مهما في دعم الاتصال المستمر بين السومريين في الجنوب والساميين في الشمال ، فكانت السفن تسير في نهر الفرات مارة بالمستوطنات السامية على طول ضفاف الفرات في طريقها الى بلاد سومر وهي تنقل بالعسابي من هيت القار الذي كان السومريون يحتاجونه بكميات كبيرة في بناء مختلف منشآت الري في مشاريعهم الزراعية .

ولم يكن للسومريين والساميين حدود طبيعية واضحة تفصل بينهما ، بيد انه يمكن القول بوجه عام ان القسم الاوسط من السهل الرسوبي ، أي من حدود بغداد او فوق بغداد بقليل الى جنوب مدينة الحلة الحالية يكون بلاد اكد السامية ، فالى الجنوب من ذلك بلاد سومر الواقعة في محافظتي القادسية وذي قار (الديوانية والناصرية سابقا) وفي مقدمتها مدينة نفر (نيبور) التي يرجح انها كانت تقع في الحد الشمالي من بلاد سومر والوركاء (اوروك) ولارسة (السنكرة) وايسن (ايشان بحريات) وادب (بسمى) وشروباك (تل فارة) ولجش (تلول الهباء) واوما (تل جوخة) وزبلام (بزيخ) واور (تل مقير) واريدو (ابو شهرين) وغيرها .
أما اشهر مواقع بلاد اكد السامية فكانت اعتبارا من الشمال : اكد (في مكان ما بين بلدة المحمودية والحلة) وسيبار (ابو حبة)

وكوثى (تل ابراهيم او حبل ابراهيم) وبابل وكيش (الاحيمر) وبورسيبا (برس نمرود) ودلبات (تل الديلهم) ومراد (ونة والصدوم) وغيرها .

وفضلا عن كل ما تقدم من الدلائل التي تؤكد وحدة الساميين والسومريين في هذه المرحلة الاخيرة من مراحل حضارة وادي الرافدين ان هناك ناحية مهمة تزيد في نمو هذه الوحدة وهي وحدة اللغة ، فاللغة التي كانت مستعملة في كيش السامية كانت اللغة الاكدية السامية واللغة السومرية في آن واحد[٣٩] . فكان استعمال اللغتين الاكدية والسومرية جنبا الى جنب في معظم النصوص المهمة[٤٠] .

٤ ــ السومريون ــ وطنهم الاصلي

أما السومريون فقد اتفق الباحثون اجماعا بأن السومريين جنس غير سامي وان لغتهم غريبة عن المنطقة لا تشبه اللغات السامية ولا نعلم زمن مجيئهم الى جنوب وادي الرافدين وان ذهب البعض الى ان ذلك ربما كان في الالف الرابعة او الثالثة قبل الميلاد . وقد اختلفت الآراء في تعيين موطنهم الاصلي . ذهب رأي الى أنهم مهاجرون من منطقة ما تقع في ما بين شمال الهند وبين افغانستان وبلوخستان عن طريق الخليج العربي وجزيرة البحرين بعد ان

(٣٩) فرانكفورت ، « فجر الحضارة في تأريخ الشرق الادنى القديم » ، ترجمة ميخائيل خوري ، ص٩١ .

(٤٠) طه باقر ، مصدر سابق ، ص ٨٢ .

استقروا في غربي ايران فترة ما ، وذهب رأي ثان الى اعتبـــارهم بدوا مما وراء القوقاز أو بحر قزوين • ويرى آخرون أنهم جاءوا من آسيا الصغرى بينما ذهب رأي ثالث الى أنهم جاءوا من السند، بل لقد اتجه فريق رابع الى انهم من الاقوام التي قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ ، وان حضارتهم أصيلة في العراق ، بل ويمكن تسمية أهل حضارة العبيد بالسومريين على الرغم من عدم معرفتنا للغة حضارة اهل العبيد[٤١] •

ومهما كان الامر ، فأن السومريين على الرغم من أن لغتهم غير سامية يعتبرون عراقيين بعد ان تثقفوا بالثقافة السامية العراقية وعاصروا الساميين وشاركوهم في حياتهم الزراعية •

٥ ـ رأي الاستاذ طه باقر في أصل السومريين

ويؤيد الاستاذ طه باقر الرأي « بأن السومريين هم احـــدى الجماعات المنحدرة من بعض الاقوام المحلية في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ البعيدة ، وانهم عرفوا باسمهم الخاص ، أي السومريين نسبة الى اسم الاقليم الذي استوطنوا فيه أخيرا في القسم الجنوبي من العراق ، أي ان التسمية لاحقـــة للاستيطان ومشتقة من أسم موضع جغرافي ولا تحمل مدلولا قوميا ، يؤيـــد هذا ان كثيرا من الاقوام التاريخية التي اشتهرت في وادي الرافدين وأسهمت فيتكوين حضارتهواحداثه التاريخية سميت باسم المواضع

(٤١) دكتور محمد مهران ، « دراسات في تاريخ العرب القديم » ، الرياض ، ١٩٧٧ ص١٩٩ •

التي حلت فيها مثل الاكديين نسبة الى مدينة « اكد » او (اكادة) العاصمة التي اسسها سرجون الاكدي ، والبابليين نسبة الى مدينة بابل والآشوريين نسبة الى مدينة آشور على ما يرجح كما يمكن تتبعأصول الحضارة السومرية الى جذورها الاولى في عصور ماقبل التاريخ » •

وفي كلامه على الساميين وصلتهم بالسومريين يؤكد كما نوه به مرارا « ان السومريين لم يكونوا اقـدم المستوطنين في السهل الرسوبي من جنوبي العراق بل جاوروا أقواما اخرى وفي مقدمتهم الساميون وبخلاف ما ذهب اليه البعض من نسبة الاصل الجبلي الخارجي الى المهد الذي نزح منه السومريون ، لا نجد من المآثر السومرية وعلى رأس ذلك آدابهم واساطيرهم وشعائرهم الدينية، ما يشير الى اصل غريب عن بيئة وادي الرافدين الطبيعية ، ولا سيما القسم الرسوبي منه ، بل ان طابع حضارتهم المميز مشـتق من بيئة نهرية ذات احراش وقصب ونخيل واثل وطمي وغرينوفيضانات وسهول الى غير ما هناك مما سبق ان نوهنا به من أثر البيئـــة الطبيعية في حضارة وادي الرافدين » •

وينتهي الاستاذ طه باقر الى القول عن مسألة السومريين في تاريخنا القديم : « ويبدو مما عرضناه من آراء عن أصل السومريين ومهدهم ان ذلك من القضايا التي لم تستطع حلها الدراســـات اللغوية والآثارية ، وان كل ما قيل ويقال بشأنها مجرد تخمــين وافتراضات لا يمكن البرهنة عليها ولا رفضها بوجه قاطع»[٤٢] •

(٤٢) طه باقر ، « مقدمـة •• » مصدر سابق ، ص ٦٤ •

لقد نقلت الى القاريء رأي الاستاذ طه باقر بالنص لما له من وزن ومكانة علمية في نظرنا ، والذي نستنتجه من كلامه انه يذهب الى تأييد رأيين اساسيين :

اولا ـ ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في وادي الرافدين بل جاوروا أقواما اخرى وفي مقدمتهم الساميون وان السومريين لا يحملون دلالة قومية ٠

ثانيا ـ ان وطن السومريين هو وادي الرافدين ٠

٦ ـ رأينا في أصل السومريين

نحن نتفق مع الاستاذ طه باقر بالنسبة للرأي الاول ، أي ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في وادي الرافدين بمعنى ان هناك شعبا ذا حضارة سبقهم في الاستيطان وفي مقدمتهم الساميون ٠ كما اننا نتفق واياه بأن السومريين لا يحملون دلالة قومية بمعنى انهم لا يمثلون شعبا ذا عنصر معين ولكنهم يمثلون ثقافة ٠ أما الرأي الثاني فلا نتفق معه بما ذهب اليه بسبب كون لغة السومريين لغة أجنبية غريبة عن المنطقة،فلابد أن يكون السومريون قد جاءوا بهذه اللغة من مكان غير وادي الرافدين ذي اللغةالسامية، والذي نرجحه ان هذا المكان هو منطقة عيلام البطائحية المجاورة الى منطقة الاهوار في جنوبي العراق المشابهة لها في بيئتها الطبيعية، ونحن نعلم ان أهل عيلام آريو الاصل غير ساميين ولعلهم جاءوا بلغتهم من مكان آخر غير عيلام ، ثم استقروا في أهوار عيلام ومنها انتقلوا الى أهوار العراق الواسعة المجاورة التي لا توجد فيها

حدود تفصل بينها ، بدليل ان أصل السومريين أقرب الى حياة الاهوار من حياة الريف ، يقول الاستاذ طه باقر « ان السومريين هم أحد الاقوام الذين عاشوا في جهة ما من وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ ثم استقروا في السهل الرسوبي منه في حدود الالف الخامسة قبل الميلاد أو بعد ذلك الزمن »(٤٣) ٠ هذا ما يقوله الاستاذ طه باقر وهو نفس الكلام الذي يردده الباحثون الغربيون لارجاع عصر السومريين الى عصور ما قبل التاريخ ، في حين ان كل الدلائل التي يدونها الاستاذ طه باقر نفسه تؤكد ان السومريين وكتاباتهم كلها ترجع الى عصورفجر السلالات أي في ما بعد التاريخ وليس فيما قبل التاريخ ٠ فكيف التوفيق بين هذا وذاك ؟ ثم أين كان السومريون في الالف الخامسة قبل الميلاد ؟

هذا ما يحملنا على ان نسأل أيضا : من هي الاقوام التي استقرت في وادي الرافدين من غير الساميين ؟ ولماذا لا نعتبر الحضارة السومرية مقتبسة من الحضارة السامية التي سبقتها في الاستيطان في وادي الرافدين ؟ ألم تكن حضارة العبيد التي ظهرت في الالف الخامسة قبل الميلاد في جنوب العراق محاطة من كل أطرافها بحضارة سامية في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي ؟ ألم تكن هذه حضارات سامية ترجع الى زمن حضارة العبيد العراقية ؟

(٤٣) المصدر السابق ، ص ٦٢ـ٦٣ ٠

والغريب ان الاستاذ طه باقر يردد ما ابتدعه الباحثون الغربيون من ان اهل حضارة العبيد (مجهولين)[44] • فهل هم مجهولين حقا؟

نحن نعتبر ان حضارات حسونة وسامراء وخفاجي وتل اسمر والعبيد والوركاء وجمدة نصر ومسيلم كلها ترجع الى الاصل السامي العربي وقد قامت في عصور ما قبل التاريخ في خلال المرحلة الثالثة من مراحل حضارة وادي الرافدين وهي تؤلف حضارة العراق الاساسية وقد ازدهرت قبل دخول السومريين الى العراق بثلاثة آلاف سنة اذ ثبت تواجد الساميين العرب في وادي الفرات في سورية وفي فلسطين (الحضارة النطوفية) منذ تسعة آلاف سنة قبل الميلاد ، كما ثبت تواجد حضارة العبيد في جزيرة العرب وفي الخليج العربي • وهذا ما يدل على ان حضارة العبيد حضارة سامية وان الهجرات من جزيرة العرب قد بدأت منذ تسعة آلاف سنة قبل الميلاد وهذا ما يمثل أقدم استيطان في سورية وفي فلسطين •

٧ ـ عصر السومريين القديم وعصر السومريين الحديث

أما السومريون الذين ظهروا أول مرة في عصر فجر السلالات فأول معرفتنا بهم وصلتنا مقرونة بلقب ملك سومر واكد الذي يرجع الى حوالي منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد • ويقسم العصر السومري في المرحلة الرابعة من حضارة وادي الرافدين الى حقبتين منفصلتين الاولى تعرف بالعصر السومري القديم ، والثانية تعرف

(٤٤) المصدر السابق ، ص ٨٠ •

بالعصر السومري الحديث تفصل بينهما الامبراطورية الاكدية التي دامت حوالي قرنين من الزمن (٢٣٧٠ ـ ٢١٥٩ ق٠م) تقع الحقبة الاولى في عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠ـ٢٣٧٠ق٠م) وتكون حضارة دويلات المدن التي ازدهرت في هذا العصر مثل لجش واور ونفر والوركاء وأدب وغيرها • (انظر ما تقدم عن عصور فجر السلالات في الفقرة ٢) اما الحقبة الثانية فقد ازدهرت في اعقاب انهيار الامبراطورية الاكدية السامية في الفترة التي تمتد بين ٢٢٨٠ و٢٠٠٣ ق٠م ومن الواضح ان هاتين الحقبتين عاشتا في كنف الحضارة السامية التي ازدهرت في المرحلة الثالثة من حضارة وادي الرافدين والتي دامت في شمال وفي جنوب وادي الرافدين حوالي ثلاثة آلاف عام من عصور ما قبل التاريخ •

وتبرز هنا ظاهرة لازمت تاريخ العراق في كل مراحل حضارته، وهي ان العنصر السامي كانت له جذور عميقة في المنطقة ، فشبح السامية لم يفارق المجتمع السومري منذ أن وطأ السومريون اقدامهم في أرض العراق ، فكانت سومر واكد تؤلفان وحدة يسودها تعاون مشترك لتحقيق هدف واحد ، هو السعي وراء التقدم والتطور لوضع دعائم الحضارة السامية السومرية ، ولكن شاءت الاقدار ان يفنى السومريون ويخلد الساميون ليكونوا اعظم الامبراطوريات السامية مما عرفه العالم القديم •

٨ ـ اصل المدن السومرية

ومن المهم ذكره في هذا الصدد انه ثبت بأن المـــدن التي ازدهرت في الدور السومري القديم ، أي في عصر فجر السلالات الثالث مثل لجش والوركاء ونفر واور وأدب وغيرها من المـــدن لم تمثل أقدم استيطان في المنطقة بل سبقها في الاستيطان شعب ذو حضارة استقى السومريون مقومات حضارتهم منه ، بدليل انهذه المدن التي سميت سومرية الاصل مثل لجش واريدو والوركـــاء واور ونفر وغيرها من المدن التي قامت فوق بقايا قرى من دور العبيد الذي يرجع الى عصور ما قبل التاريخ ، وهذا ما يدل دلالة واضحة على ان شعبا ذا حضارة أقدم وأرقى من العصر السومري القديم سكن هذه المنطقة قبل السومريين •

يؤكد ذلك الاستاذ طه باقر ويقول ما نصه : « وجدت الآثار المختلفة الممثلة لدور العبيد (بأطواره الاربعة التي يقسم اليها الآن) في جميع انحاء العراق على ان العبيد الشمالي في شـــمال العراق يختلف من بعض الوجوه عن العبيد الجنوبي • ويمكنالقول انه في الاجزاء الوسطى والجنوبية من العراق قامتالمدن التاريخيةالمشهورة فوق بقايا قرى من دور العبيد كما تشير الى ذلك التحريات الآثارية التي تمت في مثل هذه المدن ، نخص بالذكر منها اور واريدو ولجش ونفر والوركاء وغيرها بالاضافة الى المواضع الاثريـــة الكثيرة في

شمالي العراق[٤٥] • ولما كانت الآثار في شمال وادي الرافدين في سورية والآثار المماثلة التي وجدت في جزيرة العرب وفي الخليج العربي تعتبر آثارا لحضارة سامية عربية ، فلا بد أن تكون طبقات دور العبيد العراقي التي وجدت تحت المدن التي اعتبرت سومرية الاصل مثل اور واريدو ونفر وغيرها كانت طبقات سامية أيضا ، وهذا ما يدلعلى انشعبا ساميا قد سبقالسومريين فيسكنىجنوبي العراق ، وان هذه المدن في هذه الحالة لا يصح ان نعتبرها سومرية الاصل ، بل هي سامية الاصل ، والاصح سامية عربية الاصل ، لان اقدم استيطان فيها هو الاستيطان السامي العربي الذي مصـــدره البشري جزيرة العرب •

ويؤيد ذلك الدكتور مورتكات ويقول : « لقد انتزعتسومر القيادة الفكرية والحضارية في بلاد الشرق الادنى عند مطلع الالف الثالثة قبل الميلاد وسبقت حقا مصر في خلق اول حضارة مزدهرة تكمن فيها بذور تاريخية • ولكننا لا نعرف ما اذا كان ذلك ثمـــرة النضوج الفكري لشعب المنطقة أم انه كان بتأثير شعب قدم الى هناك »[٤٦] •

ويواصل دكتور مورتكات حديثه عن السومريين ويتساءل هل كان السكان في العصور القديمة (عصور اوروك وجمدة نصـــر ومسيلم) من السومريين الذين ظهروا في عصر فجر السلالات هل

(٤٥) طه باقر ، «المقدمة» مصدر سابق ، ص ١٢٥ـ١٢٦ •
(٤٦) دكتور مورتكات ، مصدر سابق ، ص ٣١ •

هم انفسهم طرأ عليهم تغير داخلي شامل ، أم ان هذا التغير جاء نتيجة تفاعلهم مع نازحين جدد ؟ وهذا نص سؤاله وتعليقه عليه ، قال :

« ترى هل كان سكان البلاد في هذا العصر (أي العصر السومري الحديث) هم أنفسهم السكان السابقون الذين طرأ عليهم تغير داخلي شامل ، أم ان هذا التغير جاء نتيجة تفاعلهم مع نازحين جدد؟ مما لا شك فيه بعد الآن ان السكان الذين شيدوا أقدم حضارة مزدهرة في بلاد ما بين النهرين خلال عصري اوروك الرابع (يقصد طبقتي الوركاء ، الرابعة والخامسة) وجمدة نصر ، لابد وان يكون قد رافقه تغلغل الساميين الذين جاءوا من بادية الشام وذلك على الاقل في خلال عصر مسيلم ان لم يكن قبله . تأكيدا لذلك فقد زودتنا حفريات ماري (تل الحريري في اواسط الفرات) بكتابات سامية لا يمكن أن تكون احدث بكثير من عصر مسيلم ملك كيش وذلك اذا انطلقنا من دراسة نوع الخط وعلاماته الفارقة . واذا ثبت بشكل قاطع — كما تشير جميع الدلائل — بأن الثقل الحضاري في عصر مسيلم قد تحرك من الجنوب نحو الشمال، فانه يجوز لنا ان نعيد سبب ذلك بقليل من الارجحية الى الساميين . بناء على ذلك يمكننا ان نعلل الانقلاب الاول الذي اعقب عصر جمدة نصر وهو عصر مسيلم كنتيجة لتطعيم الشعب السومري القوي بدم الشعب السامي . وختاما لابد لنا من التوضيح ان السامية قد ظهرت الى الوجود في عصر مسيلم خلف لباس سومري دون ان تكون سامية خالصة »(٤٧) .

(٤٧) مورتكات ، مصدر سابق ، ص ٥٠–٥١ .

وهذه التفاتة مهمة من دكتور مورتكات ، فانه ينبه فيها الباحثين الذين اعتبروا أهل حضارات العبيد والوركاء وجمدة نصر سومريين قبل أن نكون قد تعرفنا على السومريين في عصر فجر السلالات الى الخطأ الذي ارتكبوه . ثم يعترف بتنبيهه هذا ضمنا بتأثير الساميين الذين جاءوا من بادية الشام ، أي الساميين الغربيين ويؤكد دكتور مورتكات أهمية الدور الذي لعبته مدينة كيش منذ أقدم العصور في نشر السامية في المنطقة ويقول : وبما ان سلالة كيش بحقبتها الزمنية التي شملت ٢٤٠٠٠ سنة قد سبقت عصر فجر التاريخ الذي تمركز سياسيا وفكريا في اوروك فانه يجوز لنا ، بتحفظ قليل ، ان نرى في تلك السلالة تلميحا لذلك التطور الطويل لبلاد الرافدين خلال العصر الحجري الحديث وبصورة خاصة خلال العصر الحجري النحاسي ، أي عصر مجتمع القرية هذا المجتمع الذي لم يعد يجوز لنا ان نحصره في اقصى جنوب الرافدين فقط »(٤٨) .

أما تساؤل دكتور مورتكات عن حقيقة هوية حضارة اوروك في ما قبل التاريخ وابداء شكوكه في اعتبار الباحثين حضارة عصور العبيد والوركاء وجمدة نصر عصرا سومريا ، فجوابنا على سؤاله بلا تردد هو : ان حضارات عصور العبيد والوركاء وجمدة نصر هي من عصور ما قبل التاريخ وقد ازدهرت في ذلك الدور قبل ان تتعرف على ما يسمى بالسومريين بثلاثة آلاف سنة ، لذلك فلا صلة

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

لها بالسومريين الذين تعرفنا عليهم في عصور فجر السلالات اطلاقا ٠ وكل الدلائل والقرائن تثبت كون حضارة هذا الدور في ما قبل التاريخ حضارة سامية عربية كما كررنا ذلك عدة مرات ٠ فالعنصر السامي هو الذي كان سائدا في هذا الدور فاثبت وجوده في كل الشرق الادنى منذ آلاف السنين ٠ أما حضارة السومريين التي تواجدت اول مرة في عصر فجر السلالات فهي جزء من حضارة وادي الرافدين استقرت في العراق ولا يصح ان نطلق عليها غير حضارة (سامية سومرية) لاشتراك العنصرين السامي والسومري في صنعها، وحتى في هذا الدور نفسه كانت للساميين السيطرة السياسية في بعض الحالات ٠ فهناك ما يدل على ان دولة سامية كانت تحكم في لجش السومرية في عصر فجر السلالات الثاني (٢٨٠٠ — ٢٦٠٠ ق٠م) ٠

يقول الخبير الامريكي البرخت كوتزه : « ان هناك دولة كبيرة من الساميين مركزها في لجش وجدت اثناء فجر السلالات الثاني على وجه التأكيد »[٤٩] كما تدل النصوص على امتداد سلطة مسيلم ملك كيش السامية على مدينتي لجش وادب السومريتين حيث كان حاكماهما تابعين له[٥٠] ٠

---

(٤٩) سومر ، م ٢٢ (١٩٦٦) ، ص ٧٣ ٠

(٥٠) طه باقر « مقدمة ٠٠ » مصدر سابق ، ص ٣٠٥ ٠

٩ — الكتابات السومرية في العصرين القديم والحديث

لقد تعرفنا بعد ظهور الكتابة على اولى الكتابات السومرية باللغة السومرية التي تعود الى العنصر السومري القديم ويرجع زمنها الى عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠ — ٢٣٧٠ ق٠م) عثر عليها في مدينة لجش وقسم قليل منها وجد في مدينة نفر واور وأدب ٠ وكانت هذه الكتابات تحتوي على كثير من النصوص الاقتصادية والكتابات الملكية ٠ اما النصوص الادبية فلم يكن لها وجود ٠ هذا مع العلم ان اهم هذه الكتابات جاءتنا من لجش (سلالة لجش الاولى التي حكم فيها عشرة ملوك بين سنة ٢٥٢٠ و ٢٣٥٥ ق٠م) في عصر فجر السلالات الثالث ٠ ثم تلتها كتابات العصر السومري الحديث (٢٢٨٠ — ٢٠٠٣)ق ٠ م ٠ وكان ذلك في أعقاب حكم الاكديين الساميين (٢٣٧٠—٢١٥٩ق٠م) فحكمت اولا سلالة لجش الثانية (٢٢٨٠—٢١٠٩ق٠م) وبعدها حكمت سلالة اور الثالثة (٢١١١—٢٠٠٣ق٠م) ٠ ومن هذه الفترة جاءتنا اعداد هائلة من النصوص السومرية وبينها اعداد لا تحصى من النصوص الاقتصادية من مدينة لجش واومة (جوخا حاليا) ودريهم (دكان قديما) واور ٠ كما ان كتابات كوديا حاكم سلالة لجش الثانية (٢١٤٤ — ٢١٢٤ ق ٠ م ٠) والذي حكم فترة قصيرة تسبق زمن اور الثالثة تعتبر اولى أنواع الانتاجات الادبية السومرية ٠ وكذلك زودتنا فترة سلالة اور الثالثة بتآليف ، ادبية كثيرة ثم عثر في تل الصلابيخ على بعض الالواح المسمارية التي تضم انتاجات ادبية سومرية تعود الى العصر السومري القديم ومما لا شك فيه

ان الانتاج الادبي الذي ظهر في العصر السومري الحديث في النهضة السومرية الجديدة ناجم عن اقتباس السومريين الكثير من مقومات الحضارة السامية بعد ان احتك السومريون بالساميين في خلال حكم الاكديين الساميين الذي شمل كل البلاد ودام حوالي ٢٠٠ سنة .

يتضح مما تقدم ان الحكم السومري بعصريه القديم والحديث لم يدم أكثر من ٥٠٠ سنة وهو يعيش في وسط سامي متفوق ثقافيا وحضاريا على الثقافة السومرية . ومما لا شك فيه ان السومريين اقتبسوا الكثير من حضارتهم الوقتية من الساميين وبخاصة بعد ان استولى الاكديون الساميون على الحكم في كل البلاد (٢٣٧٠ـ ٢١٥٩ ق.م) وباحتلال اور والقضاء على حكام اور انتهى امر الشعب السومري في المنطقة نتيجة لتزايد عدد الساميين كما أن لغتهم لم تعد لغة تخاطب يومية ولكنها اقتصرت على الاستعمالات الدينية والفلكية حتى ميلاد المسيح(٥١) .

١٠ـ الخط المسماري (الكتابة المسمارية سامية أم سومرية) :

أما الخط المسماري الذي نسب اختراعه الى السومريين فكان قد ظهر لاول مرة على هيئة الواح تصويرية بسيطة أي كانت كل صورة تمثل الشيء المراد التعبير عنه . ولقد اصطلح العلماء اسم « العصر الشبيه بالكتابي » (بروتوليترات) (Proto-Literate)

(٥١) دكتور فوزي رشيد ، « قواعد اللغة السومرية » ص ٢٧ .

على الفترة التي نشأت فيها الكتابة المسمارية ثم تطورت حتى تكاملت وقد حدد زمن هذه الفترة ما بين ٣٥٠٠ و ٢٨٠٠ قبل الميلاد . وهكذا بدأت الكتابة أول ما بدأت على هيئة صور بسيطة ، أي كانت كل صورة تمثل حاجة أي عمل ، أي الشيء المراد كتابته او الكلمة المطلوب التعبير عنها ، ويرى بعض الخبراء في التاريخ القديم ان هذه الكتابة التصويرية انتقلت الى مصر من بلاد الرافدين(٥٢) .

وبذلك تكون الكتابة في مرحلتها الاولى قد اقترنت بتعلم الانسان القديم للرسم والنقش . ثم تقدم فن الكتابة في دور جمدة نصر،وهو آخر عصر من العصور الحجرية ، فانتقل من طور الصور الى رموز وعلامات صارت بعد ذلك مقاطع ذات قيم صوتية مؤلفة من اسافين أو خطوط اسفينية عند صفها على ألواح الطين أو حفرها على الحجر ، ولما كانت هذه الخطوط الاسفينية تشبه المسامير شكلا فقد سميت بالكتابة المسمارية أو الكتابة الاسفينية، ثم تكاملت الجملة بادخال الصيغة الفعلية فسهل التدوين بها وكان اول من أطلق عليها اسم المسمارية نقارو الحجر الذين كانوا يعملون مع هرمز رسام الذي كان يجري تنقيباته في مباني نينوى الآثارية داخل تل « النبي يونس » (١٨٨٨ ـ ١٨٩١م) .

وكان ظهور الاختام الاسطوانية (Cylinder Seals) في العصر الشبيه بالكتابي من العناصر الحضارية المميزة ، اذ كانت الاختام

(٥٢) ديورانت ، « قصة الحضارة » ، ٢ : ٤٤ .

في العصور السابقة من النوع المنبسط (Stamp Seals) ثم ظهر هذا النوع الجديد من الاختام فكثر استعماله . « وقد تميز كل دور من أدوار حضارة وادي الرافدين بأنواع خاصة من الاختام الاسطوانية وعلى هذا تكون هذه الاختام على جانب كبير من الاهمية في تحديد أزمان الطبقات الآثارية في أثناء التنقيبات . والى ذلك فالاختام تعد من المصادر المهمة من مصادر معرفتنا بجوانب مهمة من حضارة وادي الرافدين لانها كانت تنقش بمواضيع مختلفة من المشاهد المتعلقة بالعقائد الدينية ومواضيع الاساطير وصور الآلهة ورموزها والاحداث المخلدة بالادب »[٥٣] .

وقد انتشر استعمال الكتابة المسمارية في العصور التالية في الشرق الادنى ، حيث استخدم أهله تلك الكتابة للتعبير فيها في لغاتهم المختلفة . وقد ازداد هذا الانتشار في زمن حمورابي حيث دونت شريعته المشهورة المؤلفة من ثلاثة آلاف سطر بالخط المسماري . وفي هذا الدور تقدمت الصناعات كما لعب انتشار استعمال الاختام التي وجدت على نوعيها المسطحة والاسطوانية دورا مهما في اتقان الرسم وتكامل فن الكتابة . وهكذا صارت الكتابة مؤلفة من اسافين لا يظهر فيها أقل تشابه للصور الاصلية مما سهل استعمالها لتدوين المعدات وتسجيل الصكوك والرسائل واثبات الشؤون الاخرى على اختلاف انواعها . وقد نقل الكتبة السومريون والبابليون ما وقع تحت أيديهم من هاتيك الكتابات وما تناقلته

(٥٣) طه باقر ، « مقدمة في الحضارات القديمة » ، طبعة ١٩٧٤ . ص ٢٣٨ .

الالسن من الاخبار والاساطير والقصص ودونوها على شكل ثبت باسماء الملوك والسلالات وفق سني حكمهم . وقد عثر الباحثون على كثير من الآثار المتعلقة بدور الانتقال من الصورة الى المقاطع في المخطوطات المسمارية لقدماء الاكديين الذين استخدموها في مخابراتهم الدبلوماسية مع مصر وغيرها من بلدان العالم .

ومن المعلوم ان اختراع الكتابة كان عاملا مهما في التقريب بين الناس المتباعدين فسهل وسيلة الجمع والتعاون بين الاقوام بمبادلة الرسائل والكتب . ولا شك في ان الحضارة التي ازدهرت في بلاد سومر واكد لم تتكون وتزدهر لولا توافر الكتابة ، كما ان المعلومات التي توصّل اليها الباحثون في مدى تقدم تلك الحضارة الغابرة ما كانت لتتوفر لولا وجود الكتابة التي سجلت بها مآثر تلك الاقوام من علوم وطقوس دينية وشرائع وعقود ورسائل وما الى ذلك من نشاطات حضارية ثقافية اخرى . وقد اكد العلماء أهمية الدور الذي لعبته الكتابة في تقدم الحضارة السامية فعبر ديورانت عن رأيه في هذا الصدد بما نصه : « اننا نستطيع أن نقول ان تطور الكتابة هو الذي كان يخلق الحضارة خلقا ، لان الكتابة هيأت وسيلة تسجيل المعرفة ونقلها كما كانت وسيلة لازدهار الادب ، وانتشار السلام والنظام بين القبائل المتنافرة ، لكنها متصلة على تنافرها ، لان استخدام لغة واحدة اخضعها جميعا لدولة واحدة ، وبداية ظهور الكتابة هي الحد الذي يعين التاريخ» . ويضيف الى ذلك قوله: «ان نشأة الكتابة المسمارية وتطورها أعظم ماللسومريين

من الفضل على الحضارة العالمية » وديورانت كبقية الباحثين الغربيين ينسب اختراع الكتابة الى السومريين وحدهم(٥٤) .

ولما كانت بداية الكتابة مستندة الى الفن التصويري فقد برزت الى جانبها صناعة النقش والنحت على الاختام الاسطوانية فأضافت كثيرا الى فائدة الرسائل المكتوبة بتثبيت اصالتها وصحتها ، وصارت هذه الاختام في ما بعد اداة لازمة من المقتنيات الشخصية لكل فرد من الطبقة الراقية وبالاخص موظفي الدولة الذين كانوا يدونون على اختامهم علاوة على أسمائهم عبارات الاخلاص والتعظيم للملك الحاكم في ذلك الزمن فلذلك كان هؤلاء يبدلون اختامهم في اكثر الاحيان عندما يتغير ملك البلاد . ثم تطورت هذه الاختام فصارت تنقش وتنحت عليها مختلف النقوش واكثرها يتعلق بأعمال الآلهة والطقوس الدينية التي ينبغي اتباعها عند العبادة وعند تقديم القرابين . وقد ذهب السومريون في تخيلاتهم الى نقش عمالقة بأجسام مركبة مختلفة وهم يقومون بأعمال بطولية اسطورية يتحدون بها الحيوانات المفترسة وعوادي الطبيعة التي يتعرض لها الانسان في مجرى حياته اليومية والتي كان منها يتمثل بأله خاص يعبد وتنذر له النذور وتقدم له القرابين والعطايا . ويمكن تمييز هذه الاختام من حيث تعيين الحقبة الحضارية التي وجدت فيها من شكلها ومن نوع النقوش عليها ومن مادة صنعها . وكانت تصنع هذه الاختام من مختلف انواع الاحجار

(٥٤) ديورانت ، مصدر سابق ، ٢ : ٣٤ .

والزجاج البراق والمعادن المختلفة منها الفضة والذهب في بعض الحالات .

وكانت هذه الاختام منقوشة بحيث اذا دحرجت على الطين الرطب تركت طبعة من صور بارزة مما يسهل تمييزها ويكاد يستحيل تقليدها فتكون بمثابة التوقيع وكل منها معروف باسم صاحبه . وكان صاحب الختم يحمل ختمه معه دائما يعلقه في قلادة يلبسها او يربطه على معصم يده . ومن الواضح ان هذه النقوش كانت خير مصدر لدراسة العادات والتقاليد والعقائد الدينية التي كانت سائدة في تلك العصور فلم تدع شاردة ولا واردة من صورة الحياة الا رسمتها ، وستبقى هذه الصور منارا يهتدي بهديه علماء الآثار والمحققون في توسيع بحوثهم العلمية عن الفترات الزمنية التي قطعها العالم في مراحل مدنيته . كما تدل هذه النقوش في الوقت نفسه على ما بلغه فن النقش والنحت في تلك العصور من تقدم وارتقاء لما نلمسه فيها من براعة في التنسيق والتصوير والنحت(٥٥) .

والآن بعد هذا الايضاح قد يتبادر الى ذهن القارىء سؤال لابد من التطرق له والتعليق عليه ، ألا وهو : « من الذي اخترع اصل الكتابة أهم السومريون أم الساميون ؟» . ان الثابت لدى العلماء ان اول واقدم كتابة صورية معروفة حتى الآن وصلت الينا من كيش السامية وليس من بلاد سومر ، ولم تكن هذه الكتابة

(٥٥) انظر : الدكتور فرج بصمه‌جي ، « الاختام الاسطوانية في المتحف العراقي » ، سومر م٢ (٢) ١٩٤٦ ، ص١٥٥–١٦٤ .

على الطين كما كانت عليه الرقم السومرية التي اكتشفت في الوركاء (الطبقة الرابعة) فيما بعد بل كانت منقوشة على الحجر ويرقى تاريخها الى حوالي الالف الرابعة قبل الميلاد[٥٦] . نحن نعلم ان كيش سامية اما الوركاء (وركاء ما قبل التاريخ) فيعتبرها الباحثون بدون سند تاريخي سومرية . ولكن لو دققنا الزمن الذي وجدت فيه هذه الكتابة الصورية نجد ان الوركاء لم تكن قد اكتسبت هويتها السومرية في ذلك الزمن ، فدور الوركاء هذا كان مزدهرا في جنوبي العراق هو ودور العبيد قبل دخول السومريين الى العراق ، ثم ان آثار الوركاء الفنية من ذلك الزمن وجد مثيلها في سورية السامية اي في شمال وادي الرافدين وتعود للدور نفسه . ففي هذه الحال هل يصح أن نعتبر دور الوركاء (وركاء ما قبل التاريخ) الذي يرجع الى العصر الحجري المعدني دورا سومريا قبل أن يكون قد ظهر السومريون في جنوبي العراق ؟.. وحتى اذا فرضنا ان الوركاء سومرية الهوية فلا نعلم بالتأكيد من الذي سبق الآخر في وضع الالواح الصورية التي تمثل بداية الخط المسماري أهم أهل كيش الساميون أم أهل الوركاء السومريون اذا سلمنا جدلا بانهم سومريون حقا . هذا مع العلم ان اكثر الباحثين يذهبون الى ان لوح كيش الحجري هو اقدم من لوح الوركاء .

كما وجدت أقدم كتابة صورية تعود لاول مرحلة من مراحل تطور الكتابة في موقع « حبوبة الكبيرة » بسورية جنوبي (تل

(٥٦) Ruth Whitehouse, "The First Cities", 1977, P. 83.

قناص) على الضفة الغربية لنهر الفرات وهي تحمل اشارات أرقام، وهذه تعود الى النصف الثاني من الالف الرابعة قبل الميلاد[٥٧] .

والواقع ان العلماء يتفقون على انه لا يعلم بوجه التأكيد من الذي اخترع الكتابة المسمارية أهم السومريون أم آخرون سبقوهم في استيطان السهل الرسوبي من غير السومريين . وهناك من يرجح ان اهل حضارة العبيد الذين سبقوا السومريين هم الذين اوجدوا الخط المسماري[٥٨] .

وعلى الرغم من اجماع العلماء على ان هناك جماعة سبقت السومريين في الاستيطان في جنوب العراق غير انهم اختلفوا في من يكون هؤلاء . فالبعض يقر بكونهم الساميين الذين ثبت وجودهم في جنوب العراق قبل السومريين ، ويرجح البعض الآخر انهم اهل حضارة العبيد الذين اوجدوا الخط المسماري قبل السومريين فقد سبقت الاشارة الى ذلك . وقد ثبت ان حضارة العبيد ان هي الا حضارة سامية بدليل انها وجدت في اقطار سامية مجاورة مثل سورية وشبه جزيرة العرب والخليج العربي . لذلك لا يمكن ان تكون الجماعة التي سبقت السومريين في الاستيطان في جنوب العراق الا من الساميين الذين ثبت وجودهم في جنوب العراق منذ اقدم العصور ، اي قبل وجود السومريين في المنطقة .

(٥٧) « آثار الفرات – مكتشفات الحملة الدولية لانقاذ آثار الفرات »، ١٩٧٤ ، ص٥٩ .

(٥٨) طه باقر ، مصدر سابق ص ٨٠ .

والمعلوم ان اقدم كتابة اكتشفت في المعابد اذ كانت مركز الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في قرى ذلك العصر ، وهذه لم يكن قد دوّن بها امور ذات شأن ولا تعدو كونها تقييدات بسيطة لواردات المعابد بالدرجة الاولى ، ولم تعرف اللغة التي دونت بها وقد سماها الباحثون خبراء اللغة لغة ما قبل الفراتية او ما قبل السومرية ، أي اللغة التي كانوا يتكلمونها في الفترة التي سبقت هجرة السومريين الذين ادخلوا لغتهم السومرية فيما بعد في جنوبي بلاد الرافدين ، ولكن اتضح في ما بعد ان اللغة التي دونت بها في ذلك الدور كانت اللغة السومرية • وقد استنتج من مفردات هذه اللغة (لغة ما قبل الفراتية) امور مهمة ، اذ تعطي فكرة عن بنية المجتمع في ذلك الحين ، من ذلك اسماء مدن وتسميات حرفية للزراعة وتربية المواشي واعمال يدوية مثل فلاح وطباخ وبناء ونجار وحداد ونساج •• الخ ومن ذلك ايضا العلامة الدالة على البستان وشجر النخيل والعلامة المعبرة عن العربة • وظهرت كذلك علامات مسمارية ذات دلالة مهمة عن طبيعة التنظيمات الاجتماعية والسياسية مثل العلامة الدالة على المشيخة (شيخ المدينة وقيّم المعبد) ، واخيرا ظهرت في عصر فجر السلالات العلامة الدالة على الملك (لوكال) • وقد توصل جاكوبسون من خلال دراسته للاساطير الدينية التي وصلت عن طريق النصوص المسمارية الاحدث عهدا الى وجود منظمات سياسية مبكرة في بلاد ما بين النهرين فكان الشيوخ يصدرون احكامهم نظرا لتجاربهم ، والجماعة

تمنحهم ثقتهم بهم ، ومثل هذا النوع من الحكم موجود غالبا عند الشعوب البدائية التي تقف في بداية تطورها الحضاري[٥٩] •

وقد مرّ العصر الشبيه بالكتابي بعدة مراحل حتى ظهرت بداية التطور الصوتي ، اي استخدام الكلمات المرسومة بالعلامات على هيئة اصوات مقطعية لكتابة الكلمات • فكان هذا العصر في اول ادواره يتألف من عدد كبير من العلامات حتى بلغ زهاء ٢٥٠٠ علامة اختصرت واختزلت الى ٨٠٠ علامة ، وبعد قرن ونصف من هذا التاريخ اختصر عدد العلامات المسمارية الى ٦٠٠ علامة ، وفي بداية الالف الثانية ق•م اختصر العدد الى ٥٠٠ ، ثم تلا ذلك ظهور استعمال العلامات الدالة على الكلمات ، اي التي تقوم مقام الكلمة واخيرا الانتقال من هذه المرحلة الرمزية الى المرحلة الصوتية •

وفي هذه الفترة من العصر الشبيه بالكتابي كان الخط المسماري مقتصرا على اللغة السومرية فقط ولكن منذ سنة ٢٥٠٠ق•م •بدىء استخدام هذا الخط لتدوين اللغة الاكدية ايضا ، وقد توسع استعمال هذا الخط منذ تسلم الاكديين الحكم وعلى يد الاكديين انتشر الخط المسماري في جميع مناطق العراق القديم وانتقل الى منطقة عيلام ، وبعد فترة قصيرة من ذلك انتشر الخط المذكور بين الحورين وكتبت به اللغة الحورية ايضا • ثم انتقل عن طريق ماري على الفرات الى شمال سورية • وفي هذا التاريخ نفسه اقتبس

---

(٥٩) انظر ، مجلة بين النهرين ، العدد ٢٦ (١٩٧٩) ، ص ١١٧ • طه باقر ، مصدر سابق ، ص ٢٤٠ ، الدكتور فوزي رشيد « قواعد اللغة السومرية » ص١٨-٢٦ •

الحيثيون في اواسط آسيا الصغرى الخط المسماري نفسه • وعن طريق التجار الآشوريين انتقل الى مستعمرة كبدوكية • وفي خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد استخدم المصريون كذلك الخط المسماري في مراسلاتهم مع ملوك وامراء منطقة الشرق الاوسط القديم • وفي بداية القرن التاسع قبل الميلاد انتشر الخط الآشوري الحديث في منطقة « اورارتو » (ارمينية) • هذا وبعد سقوط نينوى عام ٦١٢ ق•م• اختفى الخط المسماري في كثير من المناطق • اما في بابل فقد استمر الى نهاية العهد السلوقي • وبظهور الحروف الهجائية (الابجدية التي اكتشفها الكنعانيون الساميون في شبه جزيرة سيناء سنة ١٨٥٠ ق•م)[٦٠] تغلبت الكتابة بالحروف الابجدية على الكتابة بالمقاطع المسمارية •

ومما يبرهن على ان الساميين هم الذين اكتشفوا اصول الكتابة المسمارية قبل السومريين ان لغة ايبلا السامية التي اكتشفت مؤخرا في تل مرديخ بسورية والتي ترجع الى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد أي قبل نزوح السومريين الى جنوب وادي الرافدين كتبت بالخط المسماري ، وهذا يدل على ان الخط المسماري كان معروفا عند الساميين قبل تواجد السومريين في جنوب العراق •

(٦٠) لقد عثر الاثاري المعروف الدكتور مورتكات في « تل خويرة » شمالي سورية على كتابة أبجدية ترجع الى الالف الثالثة ق•م اى ما يسبق الابجدية الكنعانية باكثر من ألف سنة ، فان تأكد ذلك فأنه سيقدم الدليل على عراقة الحضارة السامية مما يجعلها تسبق الحضارة السامية السومرية (مجلة التراث العربي السورية ، العدد الاول ، تشرين الثاني ١٩٧٩ ، ص ١٤٦) •

أما اللغة السومرية فلا تمت بصلة الى أية عائلة لغوية معروفة سواء قديمة أو حديثة ، بل هي نوع من اللغات التي يسميها اللغويون (اللغات الالصاقية) او (اللغات الالحاقية) التي تتألف من مقطع أو اكثر ، ويستعان بهذه المقاطع بزوائد مقطعية يلتصق بالمادة الاصلية على صورة لواحق • والسومريون كانوا يستعملون الفاظا واحدة المقاطع • فكلمة بيت عندهم هي (أى) والصفة التي معناها عظيم أو كبير هي (كل) وكلمة رجل هي (لو) ، فكانوا ينطقون مثلا (لو ـ كل) وواضح ان معناها الحرفي (الرجل الكبير او العظيم) • وكانت هذه التسمية تعني عندهم (الملك) • والبيت الكبير الذي يجاور به المعبد كان يقال له (اى ـ كل) وهي الكلمة التي انتقلت منهم الى الساميين حتى أخذها العرب بلفظ (هيكل)•

ومن هذه الفصيلة في اللغات الحديثة اللغة الصينية وكثير من اللغات واللهجات القريبة منها في اواسط آسيا والشرق الاقصى[٦١] • « واللغة السومرية كغيرها من اللغات تحتوي على بعض الكلمات المستعارة وقد بينت المخلفات الكتابية السومرية ان اللغة المذكورة تحوي كلمات مستعارة من اللغة الاكدية فقط »[٦٢] •

وقد دوّن الدكتور فوزي رشيد في كتابه « قواعد اللغة السومرية » الكلمات التي امكن اثبات أصلها • وهذا ما يدل

(٦١) الدكتور حسن ظاظا « اللسان والانسان » ، ١٩٧١ ، ص١٥١ـ١٥٢ •

(٦٢) الدكتور فوزي رشيد « قواعد اللغة السومرية » ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٢ ، ص١٢٧ •

على ان الساميين سبقوا السومريين في الاستيطان في جنوب العراق • فاقتبس السومريون كلمات سامية استعاروها من الاكدية السامية • هذا مع العلم ان اللغة التي كانت مستعملة في كيش السامية كانت اللغة السامية الاكدية واللغة السومرية(٦٣) •

ومن الامور المثيرة التي شغلت أفكار علماء العالم مدة من الزمن قصة حل رموز الكتابة المسمارية في العراق والكتابة الهيروغليفية في مصر ، فقد دأب هؤلاء العلماء عاملين دون كلل او ملل حتى واكبهم الحظ فحققوا أمنيتهم بعد جهود متواصلة دامت اكثر من نصف قرن • والعلماء الذين اوقفوا جهودهم على حل رموز الكتابة المصرية كانوا أوفر حظا من زملائهم الساعين في حل رموز الكتابة المسمارية حيث عثر في مصر عن طريق الصدفة على حجر من (البازلت) يحمل نصا مكتوبا بثلاث لغات ، هي الهيروغليفية والديموطيقية (الكتابة المصرية الدارجة) واليونانية، وهو عبارة عن شكر الكهنة للملك بطليموس الخامس (٢٠٣ — ١٨٠ ق • م •) على عطاياه التي قدمها للمعابد ، وبمساعدة اللغة اليونانية التي كانت مقروءة وقتئذ سهل حل رموز اللغة الاولى وقد ساهم كثير من العلماء في انجاز هذه المهمة كان أنجحهم فيها العالم الآثاري الفرنسي جان فرانسوا شمبليون (١٧٩٠ — ١٨٣٢ م) الذي توصل بفضل علمه باللغة اليونانية الى معرفة الحروف الهجائية المصرية بأجمعها ثم حل رموز الكتابة ويقول ديورانت ان هذا

(٦٣) فرانكفورت ، « فجر الحضارة في تاريخ الشرق الادنى القديم » ترجمة ميخائيل خوري ، ص٩١ •

الكشف من أعظم الكشوف في التاريخ • وصار يعرف هذا الحجر الذي مهد السبيل الى حل الرموز الهيروغليفية بحجر رشيد اذ عثر عليه في مدينة رشيد بمصر قريبا من مصب فرع رشيد في البحر ، والذي عثر عليه جندي من جنود نابليون وكان ذلك سنة ١٧٩٩ ثم استولى عليه البريطانيون سنة ١٨٥١ وهو موجود الآن بالمتحف البريطاني •

أما رموز الكتابة المسمارية في العراق فقد ظلت لغزا عجزت عن حله الاجيال المتعاقبة حتى اكتشفت منحوتات بهستون في ايران في واجهة أحد الجبال على الطريق بين همدان وكرمنشاه ، أي الطريق العام بين فارس وبابل أو طريق خراسان القديم ، على بعد ٣٢ كيلومترا الى الشرق من كرمنشاه • وقد نقشت على هذه المنحوتات كتابات بثلاث لغات أيضا احداها اللغة البابلية بالخط المسماري اما الاثنتان الاخريان فباللغة الفارسية واللغة السوسيانية (نسبة الى بلاد سوسيانة بلاد السوس) • اما المنحوتات فهي عبارة عن نصب على حافة الجبل نقشت عليه صورة للملك دارا الاول (٥٢٢ — ٤٨٦ ق • م •) وهو يشاهد واقفا وقد رفع يده اليمنى باتجاه الاله « اهورمزدا » الذي يظهر وكأنه في الفضاء داخل اطار مجنح مبديا بذلك شكره وخشوعه وبيده اليسرى يتكىء على رأس قوس وقد وقف خلفه النابل والرامح واصطف امامه تسعة من الرؤساء المتمردين وقد ربطوا كلهم وهم مصطفون الواحد بعد الآخر بصف طويل من اعناقهم وشدت أيديهم خلف ظهورهم ، وتشاهد حول هذه الرسوم الكتابات باللغات الثلاث على النحو الذي شرحناه •

وقد اشار الجغرافيون العرب الى هذه المنحوتات في كتاباتهم كابن حوقل والاصطخري وياقوت الحموي ولكنهم لم يلتفتوا الى الكتابات التي عليها اذ أهملوا ذكر أي شيء عنها •

وكان في مقدمة الذين درسوا الكتابات على هـذا النصب جان شاردين "Jean Chardin" (١٦٤٣ – ١٧١٣ م) فقد نقل هذا الخبير الكتابات مستخدما الحبال والسلالم للوصول اليها لوقوع النصب على واجهة الجبل بصورة عمودية • وقد توصل الى انه يمثل كتابات بلغات مختلفة وانها ليست مجرد زخارف كما كان يظن ولكن دون أن يعلم بأنها تحتوي على نص واحد بلغات ثلاث • ثم تضافرت جهود العلماء من مختلف دول أوروبا لحل رموز هذه الكتابات فبرز منهم الخبيران كروتفند ورولنسن اللذان تفرغا لانجاز هذه المهمة الشاقة فتمكنا بعد جهود مضنية طويلة من تفهم الكتابة الفارسية ، وفي سنة ١٨٥٠ نشرت نتيجة اعمالهما وشفعت في السنة التالية بترجمة كاملة للقسم البابلي من الكتابة البهستونية • وهكذا صارت المنحوتات البهستونية لآسيا الغربية بمثابة حجر رشيد المصري لانها ساعدت العلماء على حل رموز اللغة البابلية القديمة بمقابلتها مع الترجمة الفارسية كما ساعدهم حجر رشيد من قبل أن يحلوا رموز اللغة الهيروغليفية المصرية القديمة بمقابلتها مع الترجمة اليونانية • وقد اكتشف العلماء فيما اكتشفوه من أسرار الكتابة السومرية البابلية ان الكتابة السومرية تقرأ من اليمين الى اليسار في حين ان البابليين اتخذوا الطريقة المعاكسة في كتاباتهم أي من اليسار الى اليمين •

وقد كان لحل رموز اللغة السومرية البابليـة الكشف عن مكنونات حضارة وادي الرافدين القديمة بعد ان ظل يجهلها العالم حقبا طويلة من الزمن تربو على أربعة آلاف عام(٦٤) •

الخلاصـة

ومجمل القول اننا لا نملك أي دليل تاريخي ينص على ان السومريين هم الذين اكتشفوا الخط المسماري بعد ان توفرت لديهم الكتابة بلغتهم ، بل على عكس ذلك ان كل الدلائل تؤكد بان الساميين هم الذين اكتشفوا الخط المسماري واستعملوه بنطاق واسع في كل البلاد التي سيطروا عليها مما يدل على اعتزازهم به بصفته تتاج حضارتهم • ولو كان الخط المسماري من تتاج حضارة السومريين وحدهم لكان الساميون قد اخذوا معه اللغة السومرية التي كانت تستعمل مع الأكدية السامية في كيش(٦٥) • بل عكس ذلك هو الواقع ان السومريين هم الذين استعاروا كلمات أكدية وأدخلوها في لغتهم السومرية(٦٦) • وهذا ما يدل على ان الساميين سبقوا السومريين في الاستيطان في

---

(٦٤) انظر : دكتور فوزي رشيد ، « حل رموز الخط المسماري » ، مجلة بين النهرين السنة الاولى (١٩٧٣) العدد الرابع ، ص٣٨١–٣٩٠ ، دكتور فوزي رشيد ، « قواعد اللغة السومرية » •

(٦٥) فرانكفورت ، « فجر الحضارة في تأريخ الشرق الادنى القديم » ، ترجمة ميخائل خوري ، ص٩١ •

(٦٦) دكتور فوزي رشيد ، «قواعد اللغة السومرية » ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٢ ، ص٢٧ • لقد دون المؤلف الكلمات التي امكن اثبات اصلها •

جنوب العراق فاقتبس السومريون كلمات سامية استعاروها من الاكدية السامية . وهذه هي الدلائل :

اولا : ان أقدم نموذج للكتابة التصويرية عثر عليه في كيش السامية وليس في بلاد سومر ، وكان من الحجر المايكروليتيك (Microlithic) الذي وجد لأول مرة في كيش[٦٧] . وهذه الصناعة انفردت بها المنطقة الشمالية من وادي الرافدين ولم يعثر على اثر لها في الجنوب أي في منطقة أور السومرية مما يدل على أن وجود هذه الأدوات في كيش يمثل صلة من مراحل نزوح سكان صحراء سورية (بادية الشام) في عصور ما قبل التاريخ من الشمال الى الجنوب أثر جدب تلك المنطقة ، ويبدو أن كيش تمثل أقصى الحدود الجنوبية للنازحين الساميين في تلك الازمان[٦٨] . هذا مع العلم ان الأدوات المصنوعة من حجر المايكروليتيك يرجع الى العصر الحجري الوسيط (الميسوليتيك) الذي يمتد الى ما بعد العصر الجليدي الرابع .

ثانيا : ان الرأي الذي ابداه بعض الباحثين من ان أهل حضارة العبيد هم الذين اكتشفوا الخط المسماري ينسجم مع الواقع التاريخي ومع المنطق واننا بدورنا نؤيده ، لأن هناك اجماعا بين الباحثين على ان شعبا سبق السومريين في استيطان ارض

---

(٦٧) Ruth Whitehouse, "The First Cilies," 1977, P. 83.

(٦٨) L.C.H. Watelin, "Excavations at Kish," IV, 1934. P. 1.

جنوب العراق[٦٩] . ولما كانت الدلائل كلها تؤيد بان حضارة العبيد سامية بدليل وجودها في كل انحاء العراق وفي البلاد السامية المجاورة للعراق وهي سورية وجزيرة العرب والخليج العربي[٧٠] . فلا يمكن ان تكون حضارة العبيد الا من الساميين ايضا بطبيعة الحال . وعلى هذا يكون الساميون هم الذين اكتشفوا الخط المسماري . ويجب أن لا ننسى ان الساميين (الكنعانيين والفينيقيين) هم الذين اكتشفوا في ما بعد الحروف الهجائية (الابجدية) في القرن التاسع عشر قبل الميلاد فتغلبت الكتابة بالحروف الأبجدية على الكتابة بالمقاطع المسمارية .

ثالثا : لقد ثبت مؤخرا بعد اكتشاف لغة ايبلا السامية في تل مرديخ بسورية والتي تعود الى ٣٠٠٠ قبل الميلاد ان الساميين قد استعملوا

---

(٦٩) E.A. Speiser, "Mesopotamian Origins" London 1930 P. 38.

انظر ايضا : طه باقر ، « مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة » ص٦٤ .

(٧٠) A.H. Masri, "Prehistory in North Eastern Arabia" Miami, Florida, 1974, PP. 1-11.

انظر ايضا : دكتور عبدالله مصري « آثار شرق الجزيرة العربية ودورها في نشوء حضارة سومر » ، مجلة الدارة ، العدد الاول الرياض ١٩٧٦ ، ص٦٩-٧٠ ؛ دكتور جواد علي « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ، ١/٥٣٢ ؛ رضا جواد الهاشمي ، « وحدة العناصر الحضارية في الخليج العربي في ضوء المكتشفات الاثرية » مجلة بين النهرين العدد ١٩٧٩ ، ص٢٤٧-٢٧٣ .

الخط المسماري بلغتهم الايبلوية مما يدل على ان الساميين سبقوا السومريين في اكتشاف الخط المسماري واستعملوه في كتابة لهجتهم السامية[٧١] • قبل السومريين •

١١ـ حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين :

لقد اعتاد اكثر الباحثين ان يعتبروا الحضارة السومرية التي ظهرت في جنوب العراق أقدم حضارة وجدت في العراق ، بل هي حضارة وادي الرافدين الرئيسة ، في حين ان أقدم حضارة شهدها العراق في السهل الرسوبي من جنوب القطر هي حضارة العبيد السامية وقد سبق شرح ذلك ، وهذه ترجع الى عصور ما قبل التاريخ ، في حين ان حضارة السومريين ظهرت اول مرة في الطور الثالث من عصور فجر السلالات (٢٦٠٠ – ٢٣٧٠ ق٠م) ، كما سبق ان اوضحنا ان الاسباب التي دفعت هؤلاء الباحثين الى اتخاذ هذا الموقف العدائي ضد السامية وضد العرب بغية اعطاء الأهمية الأولى في المبادهة الحضارية الى شعب (غير سامي) غريب عن المنطقة ، ولم يكتفوا بذلك بل اعتبروا أهل العبيد مجهولين •

وكان أول من ذهب في هذا الاتجاه الدكتور جايمس هنري براستد استاذ تاريخ الشرق ورئيس دائرة اللغات والعلوم الشرقية في جامعة شيكاغو الامريكية في كتابه « العصور القديمة » :

J.H. Breasted "Ancient Times - A History of the Early World", Chicago, 1916.

---

(٧١) دكتور عمر الدقاق « مدينة وتاريخ ـ ايبلا المملكة عادت الى الوجود » ، مجلة الفيصل السعودية ، العدد ٣٢ يناير ١٩٨٠ ، ص٣٥ـ٤٧ •

وقد قام بترجمة الكتاب الى اللغة العربية داود قربان احد اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت ، وذلك لسد الحاجة الماسة الى كتاب مدرسي في تاريخ العالم القديم كما افاد المترجم في مقدمته • وانا لم ازل احتفظ بالنسخة التي كنت ادرس عليها في جامعة بيروت الامريكية سنة ١٩٢٢ عندما كنت ادرس فيها قبل ٥٨ سنة بالضبط • وقد يكون من المناسب ان انقل هنا نبذة عما ورد في هذا الكتاب عن الساميين والسومريين قال المؤلف ما ترجمته :

« وكان الأكديون (الساميون) يجهلون الكتابة والصنائع فتعلم بعضهم ان يكتب لغته السامية بالعلامات المسمارية السومرية، فكانت كتابته بدء كتابة اللغة السامية • وبما ان هؤلاء الأقوام الرحل لم يكونوا قد عانوا ادارة شؤون أمة حضرية لم يعلموا شيئا عن ادارة الاحكام فالجأتهم الضرورة ان يأخذوا ذلك عن السومريين كما أخذ العرب بعد فتوحاتهم في القرن السابع للميلاد الصنائع عن الامم التي قهروها ، فأخذ الاكديون الساميون عن السومريين تقويم السنين وأوزانهم ومقاييسهم ومكاييلهم ونظامهم العددي واساليب معاملاتهم التجارية • وتعلموا منهم صناعات الحرب فضلا عن صناعات العلم » •

وبهذه العقلية الضيقة المتزمتة وبهذا الحقد الدفين للسامية وللعرب كان يكتب تاريخ العرب وتاريخ الامة العربية من قبل المستشرقين ويدّرس في الجامعات والكليات من غير أن يتصدى اليهم أحد ، فلا عجب ان تنبت جذور هذه الأفكار في ذهن الجيل الصاعد تنتقل من جيل الى جيل حتى تصبح وكأنها حقائق

تأريخية • ولو اراد بريستد ان يكتب التاريخ الآن بعقلية ومعرفة زمننا هذا لغمرته السخرية من نفسه امام الكتب الحديثة التي تشيد بعبقرية حضارة العرب وتقر باسهامها في تقـدم الجنس البشري •

ولم يقتصر موقف العداء للعرب وللسامية على بريستد بل شمل حتى الاختصاصيين الاثاريين مثل كرامر خبير السومريات وغيره •

يقول كرامر في كتابه « الأساطير السـومرية » : « ان السومريين ، هم الشعب الذي لا يزال انتسابه العرقي واللغوي غير معروف تماماً ، يمثلون الجماعات البشرية التي سادت ثقافتها جميع الشرق الادنى » • ولم يكتف بذلك بل اعتبر حضارات العبيد واريدو والوركاء وجمدة نصر التي ازدهرت في عصر ما قبل التاريخ سومرية ، فيقول : « لقد ازدهرت حضارة السومريين في القسم الجنوبي من بلاد بابل منذ بداية الالف الرابعة حتى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد » • ولعله يقصد بهذه الفترة فترة حضارة الوركاء وجمدة نصر ودور العبيـد الرابع تلك الحضارة التي ازدهرت في عصر ما قبل التاريخ ، في حين تدل كل الدلائل على ان هذه الحضارة ومن ضمنها حضارة العبيد كلها سامية بدليل ان حضارة العبيد وجدت في كل اقسام العراق شمالا وجنوبا ، كما وجدت في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي وهـذه مناطق سامية فلا يمكن والحالة هذه الا ان تكون حضارة العبيد العراقية سامية ايضا ، وكذلك وجدت آثار الوركاء وجمدة نصر

في عدد من نماذج المعابد الوركائية وفيسفسائها في معابد تل قناص وعرودة وتل براك بسورية مما يدل على ان معابد الوركاء وجمدة نصر ترجع الى عهد سورية السامي ايضا • وقـد وقع توينبى المؤرخ المعروف في نفس الخطأ معتمدا على آراء خبراء الاثار اد اعتبر في دراساته للتاريخ ان الحضارة السـومرية هي حضارة وادي الرافدين الرئيسة ومنها العراق •

لقد حان الاوان لاعادة النظر في حضارة الساميين والسومريين وتصحيح هذه المفاهيم المغلوطة وهذا لا يمكن ان يتم الا بعقد مؤتمر يحضره خبراء الاثار من البلاد العربية مع نخبة مختارة من علماء الاثار الاجانب الذين تثبت اماتتهم العلمية غير متحيزين الى جهة دون أخرى •

١٢- الخلاصة :

ان المكتشفات الآثارية الاخيرة في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي وفي العراق قد زودتنا مؤخرا بمعلومات ووثائق جديدة تمكننا من تقويم تاريخ وادي الرافدين القديم تقويمـا صحيحا يظهره على حقيقته :

١ • لقد قامت هيئة دولية من خبراء الاثار باشراف اليونسكو لانقاذ آثار الفرات المعرضة للغمر في سورية ، فوضعت هذه الهيئة تقريرا سنة ١٩٧٤ يتضمن خلاصة النتائج التي توصلوا اليها في كل من المواقع الاثرية التي تم التحري عنها فكشفوا عن أقدم مستوطن على ضفة الفرات الغربية شرقي مدينة حلب

في الموقع المسمى (المريبط) يرجع الى بداية الالف التاسعة قبل الميلاد ، مما يدل على أن هجرة العرب من شبه الجزيرة العربية الى سورية عن طريق البادية (بادية الشام) كانت قد بدأت منذ ذلك التاريخ • وهذا يتوافق مع بداية الدورة الدفيئة (الجفاف) التي تلي دورة (ورم) الجليدية الرابعة وقد حددها العلماء الجيولوجيون بالسنة عشرة الاف أو الخمس عشرة الف سنة قبل الميلاد •

كما ان التنقيبات في فلسطين (اريحا) دلت على ان أقدم مستوطن فيها يرجع الى سنة ٧٠٠٠ قبل الميلاد •

٣ • كما ان التنقيبات في العراق قد دلت على أن أقدم استيطان في السهل الرسوبي من جنوب العراق يرجع الى الألف الخامسة قبل الميلاد في الموقع المعروف بالعبيد واريدو قرب بابل وهو يمثل بداية تاريخ العراق القديم في وادي الرافدين•

وقد دلت التنقيبات في العراق ايضا على ان حضارة العبيد هذه وجدت آثارها في كل انحاء العراق شماله ووسطه وجنوبه ، كما وجدت اثار العبيد في المدن السومرية وفي المدن السامية •

٣ • لقد دلت التنقيبات التي اجرتها بعثة دانيماركية في الخليج العربي على وجود أكثر من أربعين موقعا عثر فيها على نفس آثار العبيد العراقية • مما يدل على صلة حضارة الخليج العربي بحضارة العبيد في جنوب العراق وصلة حضارة العبيد بالسامية العربية •

٤ • كما دلت التنقيبات التي اجريت مؤخرا في شرقي جزيرة العرب على ان هناك عددا من المواقع الآثارية عثر فيها على نفس اثار حضارة العبيد العراقية مما يدل على صلة حضارة شرقي جزيرة العرب بجنوب العراق وصلة حضارة العبيد العراقية بالسامية العربية •

٥ • كما دلت التنقيبات التي اجريت في سورية على أن هناك عدداً من المواقع الآثارية عثر فيها على نفس حضارة العبيد مما يدل على صلة حضارة سورية السامية بجنوب العراق وصلة حضارة العبيد العراقية بالسامية ايضا •

وفي كل هذا تثبيت للحقائق التاريخية التالية :

أولا : كانت هناك وحدة حضارية بين وادي الرافدين والبلاد العربية توضح الاسس المشتركة لعناصر الحياة بين سكنة الخليج العربي وجزيرة العرب القدماء من جهة وبين سكان بلاد وادي الرافدين من جهة اخرى • ولا نعلم من اين بدأت هذه الوحدة ومن الذي اقتبسها من الآخر هل كانت بدايتها في العراق أم في سورية ؟ نحن نرجح ان الاساس القديم هو جزيرة العرب المخزن البشري لهذه الوحدة •

ثانيا : ان هجرات العرب بدأت من جزيرة العرب منذ سنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد والى فلسطين منذ ٧٠٠٠ قبل الميلاد •

ثالثا : ان حضارة وادي الرافدين سامية عربية منبعها البشري جزيرة العرب •

رابعا : ان أقدم حضارة في العراق هي حضارة العبيد وأريدو التي ترجع الى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد ، وهي تمثل أقدم استيطان سامي عربي في جنوب العراق وكان ذلك قبل تواجد السومريين في جنوب العراق بحوالي ثلاثة آلاف سنة •

وقد دلت الدراسات الانثروبولوجية للهياكل العظمية التي وجدت في مقبرة اريدو والتي تنتمي الى حضارة العبيد على ان سكان العبيد واريدو هم من أجناس حوض البحر المتوسط الذين منهم الساميون العرب النازحون من جزيرة العرب اثر الجفاف الذي حل بها (انظر : سومر م ٥ ج ١ ، ١٩٤٩ ، القسم الانكليزي، ص ١٠٣ - ١٠٤ كذلك القسم العربي من العدد نفسه ، ص ١٦٠) •

لقد حاول الغربيون مسخ تاريخ وادي الرافدين القديم فابتدعوا نظرية مفادها ان حضارة وادي الرافدين الاساسية ومن ضمنه العراق هي الحضارة السومرية الآرية الغريبة عن السامية لغويا ، وذلك بغية جعل المبادهة الحضارية في وادي الرافدين الى عنصر غريب عن السامية • هذا في حين ان كل الدلائل والقرائن التاريخية تدل على ان حضارة العراق الاساسية سامية عربية كان اول ظهورها في العبيد وفي اريدو ترجع الى سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد وهي تمثل أقدم استيطان سامي في العراق • وهناك أدلة على ان الساميين العرب قد استقروا بعد هجرتهم من جزيرة العرب في سورية على ضفة الفرات الغربية منذ سنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد ثم

انحدروا جنوبا نحو العراق فكونوا حضارتهم السامية العربية في كيش بجوار بابل في الالف الخامسة قبل الميلاد وهذه هي حضارة العراق الاساسية مركزها العبيد واريدو الذي يمثل أقدم استيطان سامي في العراق في ما قبل التاريخ • وعلى الرغم من كل ذلك اعتبر الباحثون هذه الحضارة حضارة سومرية قبل ان يكون السومريون قد تواجدوا في العراق بل اعتبروا اصحاب حضارة العبيد مجهولين •

ملحق

أقوال العلماء والآثاريين في موضوع
صلة السومريين بالساميين

ان جميع الدلائل والقرائن تبرهن على ان الساميين تواجدوا في وادي الرافدين قبل السومريين ومنذ اقدم ازمنة ما قبل التاريخ، غير انه لا يمكن تحـــديد زمن وجودهم في وادي الرافدين لان الكتابة والتدوين لم تكونا قد ظهرتا بعد ، ولكننا نستطيع ان نستخلص الشيء الكثير من مخلفاتهم ومن الكتابات التي ظهرت بعد اكتمال وسائل التدوين ، إذ تشير هذه المصادر الى ان الساميين الغربيين كانوا منتشرين منذ زمن ما قبل التاريخ في المنطقة الواقعة في القسمين الاعلى والاوســـط من وادي الفرات . فقـــد عثر في سورية على اقدم قرية على الضفة الغربية لنهر الفرات ترجع الى ما قبل ٩٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وهي تعتبر اقدم قرية في العالم اذا قارناها مع اريحا في فلسطين التي ترجع الى ما قبل ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد وكانت تعتبر اقدم قرية معروفة من العهد القـــديم . ويقول الخبير الاثاري « واتلين » الذي شارك في حفريات كيش (المدينة السامية) بان حضارة الساميين دخلت العراق من الجهة الشمالية الغربية ، أي من بادية الشام ، فيقول في الجزء الرابع من كتابه « حفريات كيش (١٩٣٤) ص ١ ما نصه : « ان اقدم أثر لاستيطان الانسان السامي القديم لتربة كيش السامية يتمثل بادوات من حجر (المايكروليتيك) التي وجدت لاول مرة في هذا المكان. وهذه الصناعة انفردت بها المنطقة الشمالية من العراق ولم يعثر

على اثر لها في الجنوب مثل منطقة اور السومرية ، وعلى هذا يعتقد « واتلين » ان وجود هذه الادوات في كيش يمثل صلة من مراحل نزوح سكان صحراء سورية (بادية الشام) في عصور ما قبل التاريخ من الشمال الى الجنوب اثر جدب تلك المنطقة ، ويبدو ان كيش تمثل أقصى الحدود الجنوبية للنازحين الساميين في تلك الازمان » . وهذا يدل على ان الساميين هاجروا من جزيرة العرب عن طريق بادية الشام ، ثم ان الساميين تواجدوا في كيش (العاصمة السامية) في العصر الحجري الوسيط (الميسوليتيك) الذي يرجع الى ما بعد العصر الجليدي الرابع . وقد اطلق على هذا العصر في شمالي العراق « الدور الزرزي (نسبة الى كهف زرزي) قرب السليمانية ، وقد وجدت آلاته ايضا في عدة مواقع اخرى في شمال العراق اشهرها « زاوي جيمي » على الزاب الاعلى بالقرب من شانيدر وبالى كورا وملفعات وكريم شهر[1] .

وقد تمركز الاكديون الساميون في العراق في المنطقة الواقعة في القسم الجنوبي من السهل الرسوبي ، أي من حدود بغداد الحالية أو ما فوقها بقليل الى جنوبي مدينة الحلة حاليا ،فهذه منطقة بلاد اكد ، اشهر مدنها من الشمال : اكد (العاصمة) وتقع فى مكان ما بين بلدة المحمودية والحلة ، وسيبار (ابو حبة)الواقعة جنوب غربي المحمودية على نحو ٢٠ ميلا من بغداد وكوثى (تل ابراهيم) أو حبل ابراهيم الواقعة على بعد زهاء ٤٠ كيلو مترا من

(١) طه باقر « مقدمة في أدب العراق القديم » ص ٢١ .

شمال شرقي بلدة الحلة ، وبابل وكيش وبورسيبا (برس نمرود) ودلبات ومراد (ونة والصدوم) وغيرها .

ونظرة الى اثبات الملوك والسلالات السومرية ـ الاكدية توضح لنا الامور التالية :ـ

١ ـ ان الملوكية تنقلت بين مدن سومرية ومدن سامية قبل الطوفان وبعد الطوفان .

(كانت هناك ثلاث مدن من مجموع خمس مدن سامية قبل الطوفان هي : اريدو وكيش وسيبار واقدم ملوك اريدو كان يحمل اسما ساميا) .

٢ ـ ان ملوكا سومريين حكموا في مدن سامية وملوكا ساميين حكموا في مدن سومرية .

٣ ـ ان امارات من الساميين العموريين قامت في مدن سامية وسومرية ، فجماعات من العموريين قامت في سيبار وفي الوركاء وفي مراد وغيرها من المدن .

٤ ـ ان السلالة الأولى التي حكمت بعد الطوفان مباشرة كانت من مدينة كيش السامية وليس من بلاد سومر ، أي من منطقة الساميين وهذا يفسر لنا شيئين :

أولا ـ ان سلالة كيش السامية كانت تتمتع بمركز قيادي سياسي في البلاد وان عدة ملوك قدامى قد اتخذوا لقب ملك كيش الذي كان يرمز الى مركز القيادة

السياسية والحضارية في البلاد • وكان قد جرى العرف السياسي ان الحاكم الذي ينجح في مد سلطانه على المدن الاخرى كان يتخذ لقبا سياسيا هو ملك كيش أو لقب الملك وتطور مدلول كيش في العصور التاريخية التالية الى معنى ملك العالم •

والمرجح ان مسيلم ملك كيش كان اول من استعمل هذا اللقب[٢] •

ثانيا ـ ان سلالة كيش السامية لابد انها كانت موجودة قبل الطوفان بدليل انها تولت القيادة السياسية في البلاد بعد الطوفان مباشرة •

٥ ـ ان وجود مدن سامية قبل الطوفان وتواجدها بعد الطوفان مباشرة دليل على قدم وجود الساميين في المنطقة ، كما انه دليل على الاختلاط العنصري والقومي بين السامية والسومريين • وفيما يلي اقوال العلماء والاثاريين في موضوع العلاقة بينهما :

١ ـ بداية هجرة الساميين الى وادي الرافدين :

تدل التحريات التي اجريت على نهر الفرات في سورية على ان اقدم استيطان على نهر الفرات يرجع الى سنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد اذ عثر على اقدم قرية عرفت حتى الان في تل المريبط الواقع على

(٢) طه باقر ، « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، ص ٢٨٦ •

الضفة الغربية لنهر الفرات على بعد حوالي ٨٠ كيلو مترا من شرقي مدينة حلب • فقد قامت البعثة الفرنسية الموفدة من المركز الوطني للابحاث العلمية في باريس تحت ادارة الاستاذ جاك كوفان بالتنقيب في هذا التل في عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣ تحت اشراف منظمة اليونسكو ونشرت النتائج التي حصلت عليها هذه البعثة في التقرير الذي نشرته دائرة الاثار السورية تحت عنوان « اثار الفرات ـ مكتشفات الحملة الدولية لانقاذ اثار الفرات » سنة ١٩٧٤ •

ويقول الخبير الدكتور « نيسن » (H. J. Nissen)

« ان بداية عصور فجر السلالات قد حدثت بسبب هجرة الساميين وان الحضارة الراقية الاولى للسومريين التي تعرفنا عليها من طبقات الوركاء قد انتهت بهجرة الساميين وبعد كفاح طويل على ما يظهر تمكن الساميون اخيرا من السيطرة على كل منطقة بابل وان يوحدوها تحت زعامة كيش (سومر ، م ٢٢ ، ١٩٦٦ ، ص ٧٣)• فيستدل من كلام دكتور « نيسن » على انه يعتبر حضارة وركاء ما قبل التاريخ سومرية قبل تواجد السومريين في المنطقة مثل بقية الباحثين الغربيين المتعصبين ضد الساميين • ويبدو انه يعتبر ان هجرة الساميين الى العراق بدأت في دور الوركاء (وركاء ما قبل التاريخ) في حين ان هناك دلائل على ان هجرة الساميين من سورية الى العراق بدأت منذ سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد وهجرتهم من جزيرة العرب الى سورية بدأت منذ ٩٠٠٠ سنة قبل الميلاد كما تقدم •

٢ – هجرة الساميين الى وادي الرافدين ترقى الى ما قبل اربعة آلاف سنة قبل الميلاد :

يقول « بارو » الاثاري الفرنسي المعروف صاحب دراسات وتنقيبات ماري السامية (عاصمة العموريين القديمة) ان الساميين وجدوا في وادي الرافدين في حدود سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، أي انهم سبقوا السومريين باكثر من الف سنة • فاذا صح ذلك يكون الساميون قد ادخلوا لغتهم الى بلاد سومر واكد قبل ان يصل السومريون الىجنوبي العراق وقبل ان ينشروا لغتهم فيها • (انظر:
(A. Parrot, "Syria, P. 225 f.

٣ – ان ارض سومر كان يسكنها شعب ذو لغة سامية :

يرجح دكتور كارلتون كون صاحب كتاب « قصة الانسان » (ص ٣١٧) « ان ارض سومر كان يسكنها شعب ذو لغة سامية في اغلب الظن ، اذ كان السومريون من الناحية اللغوية اجانب دخلاء ، وتناقل السومريون خبرا يشير الى انهم تركوا موطنا في أرض جبلية يمكن الوصول اليها بحراً » • وهذا ما يؤيد الرأي القائل بان الساميين استوطنوا بلاد الرافدين قبل السومريين ، كما يؤيد بان السومريين جاؤا من بلاد جبلية وهي بلاد فارس ، اما البحر الذي حرقوه عند مجيئهم الى العراق فهو الخليج العربي (البحر العربي) •

٤ – ان السومريين لا يمكن ان يمثلوا اقدم سكان وادي الرافدين :

يقول « سبيزر » : لا يمكن ان يمثل السومريون أقدم سكان العراق لان هناك مدنا ترجع الى عصور اقدم منهم تحمل اسماءاً غير سومرية » •

E. A. Speiser, "Mesopotamian Origins", London, 1930, PP. 38ff.

٥ – ان السومريين لم يكونوا اقدم المستوطنين في جنوبي العراق :

يقول الاستاذ طه باقر : « ان السومريين لم يكونوا اقدم المستوطنين في السهل الرسوبي من جنوب العراق بل جاوروا اقواما أخرى وفي مقدمتهم الساميون » • ويضيف الى ذلك قوله: « ان الحضارة السومرية ازدهرت في مطلع الالف الثالثة ق•م• وهذا يضعف رأي من ذهب من الباحثين الى جعل بداية حضارة وادي الرافدين في الاطوار الاخيرة من دور الوركاء » انظر : « مقدمة في الحضارات القديمة » ، ص ٦٤ ، ٢٣١ •

٦ – ان الساميين غزوا كلا من مصر وبابل منذ اقدم الازمنة :

يقول الخبير الاثار: « هندكوك » (Handcock) في كتابه « اثار وادي الرافدين » : « ان الساميين غزوا كلا من مصر وبابل في اقدم فترة من تاريخيهما وقد تركوا طابعا لا يمحى على اسس الكيان المصري والليبي » انظر :

S. P. Handcock, "Mesopotamian Archaeology", 1912, P. 5.

٧ ـ الساميون جاءوا الى العراق قبل السومريين :

يقول السير ليونارد وولي خبير الاثار المعروف الذي انحصرت تنقيباته في اور ان الساميين تواجدوا في جنوبي العراق قبل نزوح السومريين الى هذه المنطقة ، انظر :

L. Woolley, "The Sumerians", Oxford, 1929, P. 5-6.

٨ ـ أقدم ملك سامي يحكم في اقدم مدينة سومرية قبل الطوفان :

ثبت ان ملكا يحمل اسما ساميا حكم في اريدو (اقدم مدينة سومرية) هبط فيها نظام الحكم من السماء اول مرة في عصور ما قبل الطوفان ، واسم هذا الملك (ايلولم) حكم في اريدو ٢٨٠٠٠ سنة حسب تقويم الملوك والسلالات السومرية والاكدية . وبذلك يكون الساميون قد وجدوا في جنوبي العراق سنة ٥٠٠٠ ق.م. قبل الميلاد اذا أخذنا بالتاريخ الحقيقي بنظر الاعتبار . وقد جاء في تقويم ملوك سلالة أور الاولى (حوالي منتصف الالف الثالثة ق.م. ان رابع ملوك هذه السلالة كان يحمل اسما ساميا ايضا هو (ايلولم) انظر :

Jacobsen, "The Sumerian King List,". P. 70.

٩ ـ الساميون سبقوا السومريين في الاستيطان في جنوبي العراق وكانت لهم حضارة ارقى من الحضارة السومرية في بداية الامر :

ان هناك عددا كبيرا من علماء الآثار يذهب الى ان السومريين عندما جاؤا الى وادي الرافدين كانوا في بداية أمرهم يجاورون اصحاب حضارة ارقى من حضارتهم ومنها اقتبسوا عناصر ثقافتهم،

بدليل نشوء ادب بطولي لدى السومريين أو ادب ملاحمي (Heroic Age) وهو نوع من الادب يظهر عادة عند الاقوام غير المتحضرة بتأثير جوارها الى حضارات أرقى مثل عصر البطولة اليوناني (المثل بالالياذة والاوديسة) حينما اتصل اليونان بحضارة الاقوام الايجية (ومركزها في جزيرة كريت) ومثل عصر البطولي الذي نشأ عند برابرة اوروبا ابان جوارهم للحضارة الرومانية . انظر :

طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، ص ٦٣ نقلا عن بحث كرامر المنشور في مجلة :

American Journal of Archaeology (1948), 150ff.

ونخلص مما تقدم ان الشعب السامي قد سبق السومريين في الاستيطان في السهل الرسوبي من جنوبي العراق وان الشعب السامي كانت له حضارة ارقى من حضارة السومريين .

١٠ـ القوانين والشرائع من صنع الساميين والسومريين :

ان القوانين والشرائع ظهرت في اللغة السومرية وفي اللغة السامية البابلية ، وهذا معناه ان الساميين والسومريين كلاهما شارك في وضع القوانين والشرائع وليس هناك اي دليل على عدم وجود شرائع سامية لم تكتشف بعد . ان اقدم شريعة سومرية معروفة هي شريعة اورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١١١ ـ ٢٠٩٤) وكان ذلك بعد حكم الاكديين الساميين الذي دام حوالي ٢٠٠ سنة (٢٣٧٠ ـ ٢١٦٠ ق.م.) . ولا شك في ان اورنمو

اقتبس شريعته من الاكديين الساميين ، وليس هناك أي دليل قطعي على عدم وجود شرائع سامية كان معمول بها في عهد الاكديين •
هذا مع العلم ان اقدم شريعة سامية بابلية هي تلك المنسوبة الى الملك بلالاما اكتشفت في تل حرمل ويرجع زمنها الى حوالي ١٩٧٠ ق٠م٠ ، أي الى ما بعد قانون اورنسو بحوالي ١٤٠ سنة ، وليس هناك أي دليل على عدم وجود قوانين سامية غير قانون بلالاما قبل ذلك • ونخلص من كل ذلك الى ان الساميين والسومريين شاركا معا في وضع القوانين والشرائع (كريمر ، « من الواح سومر » الترجمة العربية ، ص ١١٥ – ١٢٢ ، ٤٢٠ – ٤٢٣) •

يقول ديورانت في الحضارة السومرية ما نصه : « ان أقدم مدونات كتابية وصلت الينا هي المدونات السومرية وان كان هذا في ذاته لا يقوم دليلا على ان الحضارة السومرية أولى الحضارات، فقد يكون هذا الكشف وليد الظروف المحضة ، وقد يكون نتيجة عبث الفناء بمخلفات الاقدمين • وقد عثر على تماثيل صغيرة وآثار أخرى شبيهة بآثار السومريين في بلدتي آشور وسامراء وهما من البلاد التي شملتها فيما بعد دولة آشور • ولسنا نعرف أكانت هذه الثقافة القديمة مستمدة من بلاد سومر أم انتقلت اليها من مكان آخر عن طريق نهر دجلة ؟ •• كذلك تشبه شـرائع حورابي شرائع اوراتجور ودنجي ، ولكننا لا نستطيع ان تثبت ان الأولى تطورت عن الثانية ، وليست تطورا لشريعة أخرى أقدم منهما عهدا ، وان كلتا الشريعتين استمدت أصولها منها • وكل ما في وسعنا أن نقوله هو اننا نرجح ، ولا نؤكد ، ان حضارة

البابليين والاشوريين مستمدتان من سومر واكد ، او ان سومر واكد لقحتا الحضارتين البابليتين بلقاحهما » • (ديورانت ، «قصة الحضارة » ، ج ٢ ، ص ٤٢ نقلا عن :

Wodley, C. L., "The Sumerians", Oxford University Press, 1928, P. 188; Cambridge Ancient History, I, 463.

١١– دولة كبيرة من الساميين حكمت في لجش السومرية في الالف الثالثة قبل الميلاد :

يقول الخبير الامريكي البرخت گوتزة : « ان هناك دولة كبيرة من الساميين مركزها في لجش وجدت في اثناء عصر فجر السلالات الثاني (٢٨٠٠ – ٢٦٠٠ ق٠م٠) على وجه التأكيد » • (سومر ، م ٢٢ ، ١٩٦٦ ، ص ٧٣) •

١٢– صلة اهل وركاء ما قبل التاريخ بالسومريين – هل يصح اعتبارهم سومريين ؟ :

كان اول من انتبه الى بُعد الصلة بين أهل وركاء ما قبل التاريخ من جهة وبين السومريين الذين ظهروا في عصر فجر السلالات من جهة اخرى ، الدكتور مورتكات فاخذ يتساءل : هل يصح ان نعتبر حضارة اهل وركاء ما قبل التاريخ حضارة سومرية ونحن نعلم ان السومريين ظهروا في عصر فجر السلالات أي في العصـور التاريخية ، فهو يتساءل : هل يصح ان نعتبر السومريين الذين ظهروا في عصر فجر السلالات هم انفسهم السكان السابقون (أهل وركاء ما قبل التاريخ) الذي طرأ عليهم تغير داخلي أم ان هذا التغير

جاء نتيجة تفاعلهم مع عنصر جديد ؟ ثم ينتهي الى القول : «لابد ان يكون هذا التغير قد رافقه تغلغل الساميين » • وهذا نص قوله في ذلك : « ترى هل كان سكان البلاد في هذا العصر (العصر السومري القديم والحديث •) في عصر فجر السلالات هم انفسهم السكان السابقون الذين طرأ عليهم تغير داخلي شامل، أم ان هذا التغير جاء نتيجة تفاعلهم مع نازحين جدد ؟ مما لا شك فيه بعد الآن ان ولوج السومريين الذين شيدوا أقدم حضارة مزدهرة في بلاد ما بين النهرين خلال عصر اوروك الرابع وجمدة نصر ، لابد ان يكون قد رافقه تغلغل الساميين الذين جاؤا من بادية الشام وذلك على الاقل في خلال عصر مسيلم ان لم يكن قبله • تأكيدا لذلك فقد زودتنا حفريات ماري (تل الحريري) في اواسط الفرات بكتابات سامية لايمكن انتكون احدث بكثير من عصر مسيلم ملك كيش وذلك اذا انطلقنا من خلال دراسة نوع الخط وعلاماته الفارقة • واذا ثبت بشكل قاطع _ كما تشير جميع الدلائل _ بان الثقل الحضاري في عصر مسيلم قد تحرك من الجنوب نحو الشمال ، فانه يجوز لنا ان نعيد سبب ذلك بقليل من الارجحية الىالساميين • نعلل علىذلك يمكننا أن بناءا الانقلاب الاول الذي اعقب عصر جمدة نصر وهو عصر مسيلم كنتيجة لتطعيم الشعب السومري القوي بدم الشعب السامي • وختاما لابد لنا من التوضيح ان السامية قد ظهرتالى الوجود في عصر مسيلم خلف لباس سومري دون أن تكون سامية خالصة » •

(دكتور مورتكات ، تاريخ الشرق الادنى القديم » ، ص ٥٠ _ ٥١) •

ويقول دكتور مورتكات ايضا في تأثير شعب جديد على النضوج الفكري عند السومريين دون ان يتطرق الى الساميين : « لقد انتزعت سومر القيادة الفكرية والحضارية في بلاد الشرق الادنى عند مطلع الالف الثالثة قبل الميلاد وسبقت حقا مصر في أول حضارة مزدهرة تكمن فيها بذور تاريخية • ولكننا لا نعرف ما اذا كان ذلك ثمرة النضوج الفكري لشعب المنطقة أم انه كان بتأثير شعب جديد قدم الى هناك » (المصدر السابق ، ص ٣١) •

وفيما يتعلق بدور كيش السامية ، يقول الدكتور مورتكات: « وبما ان سلالة كيش بحقبتها الزمنية التي شملت ٢٤٠٠٠ سنة قد سبقت عصر فجر التاريخ ، الذي تمركز سياسيا وفكريا في اوروك فانه يجوز لنا ، بتحفظ قليل ، ان نرى في تلك السلالة تلميحا لذلك التطور الطويل لبلاد الرافدين خلال العصر الحجري الحديث وبصورة خاصة خلال العصر الحجري النحاسي أي عصر مجتمع القرية هذا المجتمع الذي لم يعد يجوز لنا ان نحصره في اقصى جنوب الرافدين فقط » (المصدر السابق ، ص ٥٤) •

١٣_ تفوق الساميين على السومريين في وسائل القتال :

كان الساميون متفوقين على السومريين في وسائل القتال ، حيث كان الساميون مسلحين بالقسي يصوبون سهامهم على السومريين من مسافة على حين ان السومريين لم يعرفوا القتال

الا بالفاس اليدوية . وهذا ان دل على شيء انما يدل على ان الساميين كانوا مزودين بحضارة ارقى من حضارة السومريين فتمكنوا من السيطرة السياسية على كل البلاد . ومن فنون القتال الجديدة التي استخدمها الساميون الاكديون هي طريقة القتال الافرادي رجل يقابل رجلا بدلا من الكراديس السومرية التي يحميها حملة التروس والتي كانت تلعب الدور الرئيسي في المعركة.

(الدكتور مورتكات ، مصدر سابق ، ص ٨٧) .

١٤- مقبرة اور الملكية ومقابر كيش السامية :

وقد يقال ان مقبرة اور الملكية التي تم اكتشافها والتي تعود الى عصر فجر السلالات (٢٦٠٠ ق.م.) يرجع زمنها الى ما قبل عهد الاكديين الساميين ، ولكن وجد في بعض المدن الاخرى ما يصح تسميته بالقبور الملكية وان لم يعثر فيها على ما يشبه النفائس الاثرية التي تميزت بها مقبرة اور . فقد وجد في كيش السامية قبور قديمة العهد بعضها يرجع الى عصر فجر السلالات الثاني وعثر في بعض قبورها على اجزاء من عربات واثار اخرى لا تضاهي اثار مقبرة اور من حيث نفاستها (طه باقر ، « مقدمة في تاريخ الحضارات » ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧) .

وقد عثر على مقبرة في كيش وهي المسماة (٧) تعود الى عصر مسيلم وهو زمن مقبرة اور الملكية نفسه (٢٦٠٠ ق.م.). وتحتوي هذه المقبرة على عدة قبور الى جانب الدفين الرئيس فيها جثث الاتباع . لقد وضع في القبر مع الدفين الرئيس عربته واشياء

أخرى من بينها منشار دازميل . وهنا نجد لاول مرة الاتباع يدفنون احياءا مع رئيسهم كما في مقبرة اور الملكية (مورتكات ، « تاريخ الشرق الادنى القديم » ، ص ٧٤) .

(انظر حول القبور المكتشفة في كيش :

Watelin, "Excavations of Kish", IV, 1934.

١٥- اقدم نماذج للعجلة عثر عليها في كيش السامية وليس في سومر :

ان اقدم نماذج للعجلة عثر عليها في كيش السامية وليس في سومر ، مع العلم ان اقدم عجلة سومرية عثر عليها في تل اجرب من منطقة ديالى يرقى زمنها الى عصر فجر السلالات .

(ديورانت ، « قصة الحضارة » ج ٢ ، ص ٢٥) .

١٦- تفوق الساميين على السومريين في الناحية الروحية :

يقول السير ليونارد وولي : « اما تقدم السومريين من الناحية الروحية فقد كان قليلا نسبيا اذا ما قورن بالنواحي الاخرى . وكان التقدم في هذه الناحية على ايدي قوم غرباء عن السومريين هم الساميون الذين تمت على ايديهم القوانين وظهر بينهم الانبياء (الدكتور احمد سوسة ، « الري والحضارة في وادي الرافدين » ، ص ٩٣) .

١٧- مسيلم ملك كيش السامية وامتداد حكمه على « لجش » و « أدب » السومريتين :

تشير الكتابات القصيرة التي وصلت الينا من الملك «مسيلم» الى امتداد سلطانه السياسي ولا سيما ما وجد في مدينتي «لجش»

و « ادب » السومريتين اللتين كان حاكما هما تابعين له (طه باقر ، « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، ص ٣٠٥) .

١٨ـ منحوتات من مدينة ماري السامية :

يقول الدكتور مورتكات : « اننا نملك منحوتات من مدينة ماري (السامية) تحمل كتابة سامية اقدم من عصر سلالة اور الاولى (تاريخ الشرق الادنى القديم » ، ص ٨٣) . ولما كانت سلالة اور الاولى تعود الى الالف الثالثة قبل الميلاد بدليل ان اقدم ملوك هذه السلالة (مس ـ آني ـ برا) يعود زمنه الى نحو سنة ٢٤٧٥ ق.م. (كنوز المتحف العراقي ، ص ٨٦) فيكون الساميون قد وجدوا في وادي الرافدين قبل الالف الثالثة قبل الميلاد على وجه التأكيد .

١٩ـ اللغة السومرية تحتوي على كلمات مستعارة من اللغة الاكدية السامية فقط :

يؤكد الدكتور فوزي رشيد الخبير في قواعد اللغة السومرية في كتابه « قواعد اللغة السومرية » (ص ٢٧) ان اللغة السومرية تحتوي على كلمات مستعارة من اللغة الاكدية السامية فقط . قال ما نصه : « ان اللغة السومرية كغيرها من اللغات تحتوي على بعض الكلمات المستعارة ، والمخلفات الكتابية السومرية بينت ان اللغة المذكورة تحوي كلمات مستعارة من اللغة الاكدية » . وقد دوّن المؤلف الكلمات التي امكن اثبات أصلها . وهذا ما يدل على ان الساميين سبقوا السومريين في استيطان وادي الرافدين فاقتبسوا

كلمات استعاروها من الاكدية السامية . هذا مع العلم ان اللغة التي كانت مستعجلة في كيش السامية كانت اللغة الاكدية السامية واللغة السومرية (فجر الحضارة في تاريخ الشرق الادنى القديم) تأليف فرانكفورت ، ترجمة ميخائيل خوري ، ص ٦١) .

٢٠ـ اقدم واول كتابة تصويرية وجدت في كيش السامية وليس في سومر :

ان اول واقدم كتابة تصويرية معروفة جاءت من كيش السامية وليسُ من سومر ، ولم تكن هذه الكتابة على الطين كما كانت عليه الرقم السومرية التي اكتشفت بعد ذلك في اوروك (الوركاء) والتي تعود الى عصر الوركاء المتأخر بل كانت منقوشة على الحجر لان الساميين الذين انحدروا من شمال وادي الرافدين قد تعودوا النقش على الحجر المتوفر هناك ، ثم تقدم فن الكتابة المسمارية في دور جمدة نصر وهو آخر دور من ادوار ما قبل الطوفان . ولنا ان نسأل : هل هناك دليل قاطع على ان السومريين هم الذين اوجدوا الخط المسماري وليس الساميون بعد ان ثبت وجود الساميين في جنوبي العراق في عصر العبيد منذ سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد . ان هناك بعض الباحثين يرجح ان اهل دور العبيد هم الذين اخترعوا الخط المسماري ونحن ممن يؤيد ذلك وهذا ما يدعو الى عدم التسرع في اقرار نسبة الاختراع الى احد الطرفين .

٢١ـ صلة حضارة وادي الرافدين بحضارة وادي النيل :

ان بداية تاريخ مصر المعروف هي عندما نزح ملك مصر العليا « نارمـــير » (Narmer) الى الجنوب نحو وادي الدلتا ووحد قسمي مصر العليا والسفلى ووضع على راسه تاجاً مزدوجاً من مصر العليا ومصر السفلى واتخذ « ممفيس » عاصمة له لانها تقع في وسط البلاد بين الشمال والجنوب قرب تفرع النيل الى فروعه التي تكوّن الدلتا وكان ذلك حوالي ٣٢٠٠ق • م إلى ٣٠٠٠ ق • م •• وقـد اشتهر هذا الملك باسم « منس » (Menes) • ومن غريب الصدف ان الحالة نفسها حدثت في العراق ففي العراق ايضا نجد المنطقـة الشمالية اكد والمنطقة الجنوبية سومر ويبدأ تأريخها سنة ٣٠٠٠ ق • م • ايضا مع الفارق ان توحيدهما تم على يد سرجون الاكدي بعد توحيد مصرالعليا ومصر السفلى بحوالي ٦٠٠ سنة • اما فيما يخص العلاقة بين وادي الفرات ووادي النيل فقد قام «الكسندر شارف » بدراسة الفن المصري قبل دور السلالات ومقارنته مع اقدم فن عراقي فوجد علاقة ثقافية بين بلاد وادي الرافدين وبلاد النيل وقد توصل الى ان وادي الرافدين كانت اقدم وارقى مـــن تلك وكان لهــا تأثير في حضارة وادي النيــل وكان ذلك في اثناء وقبيل تأسيس السلالة المصرية الاولى • وقد ايد هذه النظرية العالم الاثاري الدكتور مورتكات في مقال له نشره في سنة ١٩٤٢ ، وقد اكد ذلك عالم المصريات « ارمن » واشار الى وجود بعض عناصر اللغة السامية في اللغة الحامية المصرية • هذا مما يدل على ان الصلة بين ثقافة وادي النيـــل وثقافة وادي الرافدين ناجمة عن تأثير

الهجرات السامية العربية الاولى الى كل مـــن وادي النيل ووادي الفـــرات •

٢٢ـ ابتكار الساميين العرب لزراعة الغلال لاول مرة في التاريخ البشـــري :

يقول توينبي : يستمد العالم العربي اهميته التاريخية مـن ظهور الزراعة في ارجائه لاول مرة في تاريخ البشرية • ففي العالم العربي ، وفي مصر بالذات زرع القمح وصنع الخبز ، عماد غذاء الانسان ، لاول مرة منذ نصف مليون سنة على ارجـــح الاقوال العلمية ، وقد زود ابتكار زراعة الغلال منطقـــة العـــالم العربي بميزة رائعة على العالم القديم باسره » •

(توينبي ، مبتدع المنهاج التاريخي » تأليف فؤاد محمـــد شبل ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٥)

٢٣ـ ان السومريين عندما نزحوا الى العراق كانت حضـــارة سامية منتشرة في كل الشرق الادنى :

يتفق العلماء قاطبة على ان الســـومريين لما نزحوا الى جنوب العراق في عصر فجر السلالات جاوروا شعوبا ذوي حضارة راقية وفي مقدمتهم الساميون • فقد ثبت الان ان جميع انواع المـــواد الخزفية بكل اطوارها الممثلة لدور العبيد في جنوب العراق والتي ترجع الى ما قبل ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد تواجدت فيجميع انحاء العراق كما تواجدت في شمال وادي الرافدين (سورية السامية)

كما تواجدت في كل انحاء الخليج العربي السامي وفي شرق جزيرة العرب السامية ، مما يدل على ان الحضارة السامية كانت منتشرة في كل الشرق الادنى لما نزح السومريون الى جنوب العراق وكانت تؤلف وحدة ثقافية متماسكة • ويجب ان لا ننسى بان المـدن السومرية في جنوبي العراق التي وجدت تحتها آثار العبيد كانت تحادد بادية الشام في أرض مكشوفة صحراوية روضتها جمال العرب لا يعترضها عارض فكان الساميون يستطيعون الدخول اليها من كل الأطراف ومنهم اهل العبيد انفسهم ذلك ما يشجع قبول فكرة مجيء اهل العبيد من جزيرة العرب وهم مزودون بحضارة جنوب جزيرة العرب القديمة •

يؤكد ذلك الاستاذ طه باقر بما نصه: « وجدت الآثار المختلفة الممثلة لدور العبيد (باطواره الاربعة التي يقسم اليها الان) في جميع انحاء العراق على ان العبيد الشمالي في شمال العراق يختلف من بعض الوجوه عن العبيد الجنوبي • ويمكن القول انه في اجزاء الوسطى والجنوبية من العراق قامت المدن التاريخية المشهورة فوق بقايا قرى من دور العبيد كما تشير الى ذلك التحريات الاثارية التي تمت في مثل هذه المدن ، نخص بالذكر منها اور واريدو ولجش ونفر والوركاء وغيرهـا بالاضـافة الى المواضـع الاثرية الكثيرة في شمالي العراق » (طه باقر المقدمة •• مصدر سابق ، ص ١٢٥ – ١٢٦) •

وقد دلت التحريات التي اجريت في مناطق غمر سد الفرات في سورية على ان « نموذج اوروك (الوركاء) لم يكن مقتصرا

على جنوب العراق فقط ، بل امتد ليشمل مناطق واسعة في شمال الرافدين وفي سورية اذ كشف عن عدد من نماذج اوروك في تل قناص وجبل عرودة على الضفة الغربية (الشامية) من نهر الفرات وكانت تزين واجهات جدران المعابد مسامير طينية ملونة تنزل في الجدران لتعطي اشكالا هندسية زخرفية متعددة على نمط الواح الفسيفساء التي وجدت في معبد اوروك (الاستاذ محمد وحيد خياطه ، مدير اثار حلب ، مجلة بين النهرين ، العدد ٢٦ (١٩٧٩) ، ص ١٢٩) •

وكذلك نجد ان سور الوركاء المشهور الذي نسب بناؤه الى جلجامش لم يكن مقتصرا على جنوبي العراق ، فقد عثر في منطقة غمر سد الفرات في سورية على سور يعود الى عصر الوركاء نفسه، ففي ذلك يقول الاستاذ خياطه: «واذا كان هذا السور الذي يعد من الاعمال العمرانية التي خلدتها ملحمة جلجامش يعود الى عصر مسيلم فان التنقيبـات الحديثة في منطقة غمر سـد الفرات في سورية قد كشفت عن سور لمدينة في موقع حبوبة الجنوبية يعود الى دور الوركاء بالذات ، أي انه اقدم سور مدينة عرف حتى يومنا هذا بعد سور مدينة أريحا في فلسـطين الذي يعود الى الألف السابعة قبل الميلاد » • (المصدر السابق ، ص ١٣٣) • ويمضي الاستاذ خياطة فيقول : « ان اقدم وثيقة خطية نعرفها عثر عليها في مدينة اوروك وتعود بتاريخها الى مستهل ٣٥٠٠ قبل الميلاد اي فجر النهضة السومرية • ولكن هذا لا يعني انه لم تكـن هناك مستوطنات منظمة تشكلت قبل هـذا الوقت بزمن طويل ، ففي

الالف السابعة قبل الميلاد راينا نشوء قرى شبه منظمة في المريبط واوغاريت وابي هريرة وجبيل ولكن اقرب هذه المستوطنات الى ما نسميه اليوم المدينة هو مدينة اريحا » • (المصدر السابق) •

٢٤ ـ حضارة العبيد بين الساميين والسومريين

يقول هنري فرانكفورت في حضارة العبيد : « ان ثقافة العبيد كانت أولى الثقافات التي انتشرت في جميع انحاء بلاد ما بين النهرين ، ويبدو ان انتشارها كان من الجنوب على محاذاة النهرين» • كما يقول في علاقة ثقافة العبيد بالسومريين : « اننا لا نستطيع ان نؤكد ما اذا كان اصحاب ثقافة العبيد هم السومريون الذين انشأوا اقدم حضارة في بلاد ما بين النهرين في الفترة اللاحقة للشبيهة بالكتابية » • ثم يقول : « ان السومريين تعلموا الزراعة في أرض العراق من الساميين الذين كانوا يعيشون في الارض المتاخمة لهم من أعلى » (أنظر : فرانكفورت ، « مولد الحضارة في الشرق الأدنى » ١٩٥١ ، دراسات في العالم العربي ، ص ٧٨ • انظر ايضا كتابه « فجر الحضارة في الشرق الادنى القديم » ، ترجمة ميخائيل خوري ، ١٩٦٥ ، ص ٦٢) •

٢٥ ـ آراء بعض المتشيعين للأصل السومري (الهند اوروبي) لحضارة وادي الرافدين

ان تعصب بعض الباحثين الغربيين للاصول غير السامية لحضارة وادي الرافدين مثل بريستد وغيره من الحاقدين على السامية والساميين دفعهم على القاء الاضواء على ما هو غير سامي،

وفي مقدمة هؤلاء هنري بريستد الذي يقول في كتابه « انتصار الحضارة ، (ص ١٧٩) : اثبتت الكشوف الاثرية ان أقدم الحضارات الهامة في وادي الرافدين تطورت على يد قوم غير سامي الاصل ، لم نعرف جنسهم على وجه التحديد الى الآن وهم يسمون بالسومريين لان المنطقة التي كانت لهم السيادة فيها تسمى سومر ، بدأت قبل ٣٥٠٠ ق٠م٠ » (أبو صلاح الالفي ، « الفن الاسلامي » ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ص ٢٦) •

المحتـوى

تصميم الغـــلاف : ســلســبيل ناجي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغـداد
١٣٦٢ لسنة ١٩٨٠

دار الحريـة للطباعة - بغـداد
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الرشيد للنشر

«عن هذا الكتاب..»

يتناول هذا البحث الوثائقي المقتضب قصة حضارة وادي الرافدين من اليفها الى يائها يبحث مراحل تطورها الاربع عبر العصور، كما يبحث الدور الذي لعبه الساميون في تكوين هذه الحضارة في ضوء ما تركوه من مخلفات فنية ولقى ثمينة تعد من اهم عناصر التقدم في مسيرة التمدن البشري. ومن أهم ما يتضمنه هذا البحث تفنيد مزاعم الباحثين المتشيعين للأصل السومري الهند ـ اوربي. لحضارة وادي الرافدين بغية جعل المبادهة الحضارية لشعب آري غريب عن السامية أي للسومريين، والبرهنة علميا على ان حضارة وادي الرافدين حضارة سامية عربية منبعها البشري جزيرة العرب.

السعر ٢٥٠: فلساً

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
١٩٨٠